تواصل
مؤسسة تواصل للدراسات والتوعية الثقافية

ERTC
The Egyptian Research and Training Center

المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية

المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية

مجلة علمية نصف سنوية - محكّمة

ISSN: 2682 - 2725

استطلاعات الرأي نحو المخاطر العالمية وقدرة الأفراد على الصمود
جولي راي

الاتجاهات البحثية الحديثة في مجال علم الاجتماع الصناعي وآفاقه المستقبلية
دينا مفيد على حسن

الوظيفة الاجتماعية للحارة المعاصرة: دراسة في سوسيولوجيا المكان
فاطمة الزهراء علي أمين

الأوضاع المعيشية في النوبة الجديدة بين عوامل الاستقرار ودوافع العودة
أحمد عبد الموجود الشناوي

الوعي المجتمعي بدور التحول للاقتصاد الأخضر في مواجهة التحديات البيئية: دراسة ميدانية
شيماء عبد العزيز عبد الباسط

دور المرأة في تعزيز الأخذ بالثأر في ممارسات الحياة اليومية
أميرة رمضان محروس إبراهيم

العلاقات الجنسية داخل العالم الافتراضي: دراسة ميدانية على عينة من الشباب بالقاهرة الكبرى
رحاب محمد عبدالحي عبدالخالق

عرض كتب Book Review
أسماء فريد الرجال - خالد عبد الفتاح عبد الله

حوار الأجيال د.عبدالله عسكر
المحاور: وائل حسن يوسف

المحرر
د. محمد أبو العينين

رئيس التحرير
د.عبد الحميد عبد اللطيف

العدد السابع
ابريل ٢٠٢٣

الوظيفة الاجتماعية للحارة المعاصرة: دراسة في سوسيولوجيا المكان

فاطمة الزهراء علي أمين

مدرس علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة القاهرة

الملخص

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن تساؤل مهم مؤداه: هل الحارة المصرية بوصفها واحدة من أهم الأماكن الثلاثة -وفقًا لمفهوم أولدن بيرج- قادرة على القيام بوظائفها الاجتماعية في ظل التحولات المجتمعية المعاصرة؟، وفي ضوء ذلك تحاول رصد أهم الوظائف الاجتماعية التي تقدمها الحارة المصرية لقاطنيها في ظل التحولات المجتمعية المعاصرة، واستنتاج ديناميات الاستدامة الذاتية للحارة في ظل التحولات المعاصرة، ومعرفة الأبعاد الذاتية والأبعاد الموضوعية لعملية التفاعل الاجتماعي داخل الحارة كمكان ثالث لسكانها، وتعد هذه الدراسة وصفية تحليلية، واعتمدت على كلٍّ من: المنهج الأنثروبولوجي، والمنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الوظيفة الاجتماعية، الحارة، الأماكن الثلاثة، سوسيولوجيا المكان.

The Social Function of the Contemporary Hera a Study in the Sociology of Place

Fatima Al-Zahraa Ali Amin

Sociology Lecture - Faculty of Arts - Cairo University

Abstract:

Is the Egyptian Hara, one of the three most significant locations in Oldenburg's model, able to fulfill its social roles considering the current societal transformations? This is an essential topic that the study aims to resolve. Considering this, it aims to track the most important social services that the Egyptian Hara offers to its citizens under the current societal transformations, determine the dynamics of the Hara's self–sustainability within the current transformations, and identify the subjective and objective dimensions of the process of social interaction within the Hara.

This descriptive and analytical study drew on both the anthropological and the descriptive–analytic approaches.

Keywords: Social function, Hara, Third places, Place sociology

أولًا- مقدمة في إشكالية الدراسة:

أصبح لموضوع المكان أهمية متزايدة في الدراسات السوسيولوجية بوصفه عاملًا محددًا في بناء العلاقة الاجتماعية ومفسرًا طبيعتها وأشكالها، ويرجع هذا الاهتمام إلى أن دراسة الظواهر الاجتماعية تستلزم النظر إلى كونها تبنى في سياق مكاني يقتضي التفكير في شروط تشكله على اعتبار أنه ينظر إلى تحليل الظواهر إما بكونها نتاج عمل بنى، وإما نتاج تفاعلات الأفراد أو كليهما معًا الأمر الذي يستدعي -في كل الأحوال- ربطها بالشروط المكانية أو المجالية، ومن هذه الزاوية يعدُّ جورج زيمل (١٨٥٨-١٩١٨) من السوسيولوجيين الأوائل الذين حاولوا دراسة المجال ومقاربته سوسيولوجيًّا مبرزًا أن موضوع السوسيولوجيا هو دراسة الأشكال الخارجية للظواهر الاجتماعية (أحمد الخطابي، ٢٠٢١: ١٦٦)؛ أي فهم وتفسير الأبعاد المكانية بصورة اجتماعية (Fuller,2017: 472). ويعني هذا أن المجال عنده ليس معطًى فيزيائيًّا أو جغرافيًّا ينتمي إلى الطبيعة، ومستقلًّا في وجوده عن الإنسان بل إنه شرط وجود العالم الاجتماعي، وهذا الأخير يعطيه دلالة إنسانية (Ujang and Khalilah, 2014 : 709). فالمعاني المكانية للأشياء تنتج عن الأفعال البشرية(Fuller,Op.cit.,:472).

فالمكان والبشر يشكلان اللبنة الأساسية أو الشروط اللازمة لبناء أي مجتمع إنساني. ونظرًا لأهمية المكان تناوله رواد علم الاجتماع انطلاقًا من حقيقة أنه لا مجتمع بلا مكان، وأن المكان هو الذي يحدد طبيعة العلاقات، فالمكان إذًا هو أكبر مصدر لبناء الواقع الاجتماعي خاصة إذا ما أضيف إليه بُعد الزمان، فهما الوسيط الذي تحدث من خلالهما الحياة الاجتماعية (سامية قدري، ٢٠٢٠: ٤٥).

فجميع أشكال التفاعل كما يذهب عالم الاجتماع البريطاني "أنتوني غيدنز" هي علاقات متموضعة أي إنها تحدث في مكان معين، وخلال فترة زمنية محددة؛ لهذا افترض علماء الاجتماع أنه لا وجود بشري خارج الزمان والمكان، ولابد من فهمهما بوصفهما أشياء تم تشكيلها بدلًا من النظر إليهما من وجهة نظر مفاهيم الحتمية (أنتوني غيدنز، ٢٠٠٥: ١٧٦). لذلك عندما نقوم بتحليل السياقات التي يجري فيها التفاعل الاجتماعي فمن المفيد أن يتم النظر إلى حركات الأفراد وأنشطتهم، وأن ندرك كيف يلتقي الزمان بالمكان في منظومة التفاعلات البشرية (أنتوني غيدنز، ٢٠٠٥: ١٧٦) ، ومن هنا بدأ يتبلور مفهوم "العلائقية" على يد "ماريتنا لو" الذي يدعو إلى ضرورة فهم العلاقة السببية بين المكان وأفراد المجتمع في فترات زمنية بعينها، من خلال تلمس الطرق التي يؤثر بها المكان الطبيعي على الحياة الاجتماعية والجماعات التي تعيش فيه، والطرق التي لا حصر لها المستخدمة في تحويل الحيز الطبيعي وتشكل استخداماته ليتحول إلى مسرح للنشاط والتفاعل الاجتماعي (سامية قدري، مرجع سابق: ٦٦).

فلا يمكن فصل الأمكنة عن الأشخاص الذين يصنعونها ويستثمرون المعاني المتنوعة والمتفردة بداخلها (ujang and khalilah, Op.cit.,: 710)، وهنا يتعين على العلماء البحث عن الكيفية التي

تتشكل بها الأماكن، وكيف للمناطق والوحدات -سواء على مستوى المدن الكبرى أو المجتمعات المحلية الصغيرة- أن تصبح مناطق تأثير من خلال إنتاج العلاقات وتشكلها وإعادة إنتاجها (سامية قدري، ٢٠٢٠: ٦٧). وبناءً على ذلك عدَّ "زيمل" المجال صورة وشكلًا للظواهر، ولا يشكل في حد ذاته موضوعًا للدراسة من دون وجود أشكال تفاعلية تشكله ويشكلها هو أيضًا، ولا يكون للمجال معنى إلا حينما تحدث فيه علاقات تفاعلية، ومن ثم تأخذ دراسة الأشكال الاجتماعية مرجعيتها من التصور الكانطي للمكان القائم على فكرة أن المكان معطى ضروريًّا قبليًّا وشرطًا أوليًّا سابقًا لأية معرفة، ويتضمن لا محدودية للتمثلات المكانية؛ فدراسة المكان هي موضوع خاص للسوسيولوجيا، يجب النظر إليه كونه شرطًا محددًا لمظاهر التفاعل الاجتماعي، وفي الآن نفسه يبنى اجتماعيًّا عن طريق مظاهر التفاعل والتمظهرات الثقافية. من ذلك يمكن مقاربة المكان عند "زيمل" عبر مستويات عدة، أولها: إمكان تجريد العيش المشترك للأفراد، وثانيها: الاستثمار في الأشكال المجالية لمختلف العلاقات الاجتماعية، ثم أخيرًا: يجب النظر إلى تحليل المجال ودراسته بوصفه جزءًا من المشروع الحداثي أي بعدِّه مظهرًا من مظاهر الحداثة التي عرفتها المجتمعات المعاصرة.

من هنا يأتي التأكيد على ضرورة أن يؤخذ في الحسبان متغير المكان في دراسة المجتمع حتى يتسنى فهم ظواهر التركز والتجمع أو التشتت أو الانشطار، وكذا حركية الأفراد وإنجازاتهم وكافة التحولات الاجتماعية والثقافية والمجتمعية التي يتعرض لها. فالثقافة ليست أمرًا ثابتًا في الحيز أو الزمن؛ بل تتغير بمرور السنوات في ضوء التغيرات في المجتمع والعالم (أحمد الخطابي، ٢٠٢١: ١٦٩). ويشهد عالمنا المعاصر موجات متتالية من التغيرات المتسارعة والمعقدة التي شملت مختلف البنى الاجتماعية، مست جوانب مختلفة من المجتمع، وأحدثت تحولات عميقة أدّت فيها الثورة الرقمية دورًا بارزًا في نمطية هذه التحولات، حيث أوجدت هذه الأخيرة واقعًا افتراضيًّا موازيًا تم تشكيله جراء وسائط متعددة الأمر الذي حتم البحث ضمن مسارات متفاوتة لدراسة انعكاس مثل هذه التغيرات على السلوك والتصرفات والعلاقات الاجتماعية، سواء ما تعلق منها بالأفراد بصفتهم فاعلين اجتماعيين أو الجماعات بمختلف تشكيلاتها وانتماءاتها الاجتماعية، حيث أصبحت المجتمعات الافتراضية المعاصرة كيانًا تفاعليًّا له سمات تختلف عن سمات المجتمعات الحقيقية، حيث يختلف فيها الزمان والمكان (محمد رحمون، ٢٠٢٢: ٢). فزيادة الإنتاج التقني في عصر العولمة، وما نتج عنه من ضغط الزمان والمكان أثر في رسم هوية جديدة للمكان (إبراهيم جواد، ٢٠٢١: ٦). عملت على إعادة ترتيبه بصورة تدعو إلى ما أشار إليه Farios and Bender2011, Sheller and Urry 2007, Harvey1994.

من إعادة طرح التفكير العلائقي بين البعد المكاني والبعد الاجتماعي عند دراسة مختلف الأمكنة في هذا العصر، ومحاولة الإجابة عن التساؤل الذي طرحه "زيمل" عن الكيفية التي يواجه بها الأفراد الصراع القائم بين رغبتهم الشديدة في الحفاظ على تفردهم وهويتهم الاجتماعية والمكانية في ظل انضغاط

زمني ومكاني مكثف (Borden, 1997: 314)، فيرى "هارفي" أن العولمة بمثابة تطورات ثورية للغاية تطيح بالخواص المدركة للزمان والمكان؛ الأمر الذي يجعلنا نغير تصوراتنا أحيانًا بشكل فطري تمامًا حتى يتسنى لنا أن نتصور العالم: "إن الزمن الحاضر أصبح كليًّا في كل مكان ... وهكذا علينا أن نتغلب على هذا الإحساس الغامر لانضغاط حيزنا المكاني وعالمنا الدنيوي". ويؤكد غيدينز ذلك بقوله: "**إن العولمة لا تتعلق فقط بالاعتماد الاقتصادي المتبادل، ولكنها تتعلق بتحول الزمان والمكان في حياتنا، فالأحداث التي تجري بعيدًا عنا تؤثر علينا بشكل مباشر وبشكل مواز أكثر مما يحدث من قبل، كما أن القرارات التي نأخذها كأفراد تكون في الغالب عالمية في دلالتها**" (سامية قدري، مرجع سابق، ١٥٧).

فأصبح باستطاعتنا التفاعل مع الآخرين من دون التحرك من مكاننا، ولا مجال على الإطلاق لمقارنة الوضع الراهن بالأيام التي كان يتم فيها التواصل بطريقة مباشرة، خلافًا لما كان عليه الوضع في المجتمعات التقليدية، ففي عالمنا الحديث يتم التفاعل باستمرار مع أشخاص لم نلتق بهم قط (أنتوني غيدنز، ٢٠٠٥: ١٧٧). وتعد الحارة المصرية من أهم السياقات المكانية الاجتماعية التقليدية، التي لاشك أنها قد تأثرت بهذه التغيرات المجتمعية المعاصرة؛ وتحيل كلمة "حارة" دائمًا وأبدًا إلى كل ما هو مكاني واجتماعي، فكما أوضح "أنطوان عبد النور" فالحارة مثلت تاريخيًّا مسرحًا من السجال الاجتماعي، وبؤرة للتفاعلات الاجتماعية لما لها من قدرة على القيام بوظائف اجتماعية متعددة (مي التلمساني، ٢٠١٤: ٣٧) فكما يرى Abbott and Dewey 2016, Emirbayer 1997 أن الأماكن الاجتماعية تستمد معناها وأهميتها وهويتها من الأدوار الوظيفية التي تقدمها (Liu, 2020: 123). لدرجة تصبح معها هذه الأدوار الوظيفية وحدة تحليل أساسية لفهم الاستدامة الذاتية للأماكن)(Fuller,Op,cit.,:472 أي: قدرتها على التغير والاستمرار وتلبية احتياجات ورغبات الفاعلين الاجتماعيين بداخلها. وفي ذلك أكدت "جانيت أبو لغد" أن المجتمعات التقليدية محدودة النطاق؛ مثل: الحارة، تحافظ على بقائها الذاتي واستمراريتها بما لديها من قدرة على القيام بوظائف عديدة لقاطنيها؛ مثل:

توفير الأنشطة الاقتصادية، وبلورة نسق من القيم الاجتماعية، وتوفير مسرح للتفاعلات الاجتماعية اليومية، والجمع بين الأفراد في روابط متنوعة، والمشاركة في قدر من المصالح والاهتمامات داخل الحيز المكاني نفسه، وإن مثل هذه المجتمعات المحلية تستخدم في العلوم الاجتماعية؛ لتعبر عن فكرة المعية أي: العيش معًا، والسعي نحو تحقيق استمرار الحياة والشعور بالانتماء، والاستمرار في الوجود داخل نطاق جغرافي ومكاني معين (محمد الجوهري،١٩٩١: ٧٦). وهو ما أطلق عليه "أولدنبرج" مصطلح "الأماكن الثلاثة"، وعرفها بأنها: أماكن تجمع عامة بصورة غير رسمية، وتأتي بعد المنزل أولًا ومكان العمل ثانيًا، وتقوم بخدمة المجتمع بشكل أفضل إلى الحد الذي تكون فيه شاملة ومحلية، وذلك من خلال قيامها بعدة وظائف؛ منها:

١- توحيد الحي وتجميع أفراده وجعلهم يتعارفون على بعضهم بعضًا.

٢- الاستيعاب أو منافذ الدخول؛ دخول الزوار وتقديم الوافدين الجدد للحي، وتحقيق التعارف بين الجدد والقدامى في الحي.

٣- مناطق مرحلية في وقت الأزمات المحلية التي تتطلب تجمع وتعبئة المواطنين.

٤- توفير الشخصيات العامة الذين يعرفون الجميع ويهتمون بهم في الحي.

٥- جمع الشباب والكبار معًا في استرخاء مريح، وهي وظيفة نادرًا ما تتحقق في أي مكان آخر، وتساعد على تقليص الفجوة بين الأجيال.

٦- دمج فئات كبار السن والمتقاعدين والأطفال والنساء للمشاركة في الحياة العامة والاستمتاع.

٧- وظيفة المرح والمتعة، فالنشاط المستدام هو محادثة متنوعة.

٨- تمثّل منتديات سياسية وفكرية وثقافية.

٩- تعد بمثابة مكاتب في بعض أنواع المعاملات. (سمية قطب، ٢٠٢١: ١٢٩).

من هذا المنطلق تكمن إشكالية الدراسة في تساؤل مهم مؤداه: هل الحارة المصرية بوصفها واحدة من أهم الأماكن الثلاثة قادرة على القيام بوظائفها الاجتماعية في ظل التحولات المجتمعية المعاصرة؟

ثانيًا- أهداف الدراسة:

١- رصد أهم الوظائف الاجتماعية التي تقدمها الحارة المصرية لقاطنيها في ظل التحولات المجتمعية المعاصرة.

٢- استنتاج ديناميات الاستدامة الذاتية للحارة في ظل التحولات المعاصرة.

٣- معرفة الأبعاد الذاتية والأبعاد الموضوعية لعملية التفاعل الاجتماعي داخل الحارة بوصفها مكانًا ثالثًا لسكانها.

ثالثًا- تساؤلات الدراسة:

١- هل تتوافر في الحارة المصرية مقومات الأماكن الثلاثة؟

٢- ما الوظائف الاجتماعية التي تقدمها الحارة لسكانها؟

٣- هل تمتلك الحارة القدرة الدينامية على مواكبة التغيرات المجتمعية المعاصرة من خلال إشباع حاجات ساكنيها المتجددة؟

٤- ما الديناميات التي تمكن الحارة من الاستدامة الذاتية؟

٥- ما الخصائص الديموجرافية لسكان الحارة؟

٦- من أكثر الفئات استفادة من استغلال الحارة كسياق مكاني للتفاعل الاجتماعي؟

٧- هل تحقق الحارة مفهوم العدالة المكانية لكل سكانها؟

٨- هل يستثمر سكان الحارة مجالها المكاني في التفاعل الاجتماعي اليومي بطريقة تشبع احتياجاتهم؟

٩- ما أهم الأبعاد الذاتية [الصورة الذهنية للأفراد عن الحارة - التعلق - الألفية - الانتماء - الأمان - الرضا]، والأبعاد الموضوعية [الجودة الوظيفية للمكان - استغلال المجال – الإيكولوجيا - النشاط الاقتصادي - الأماكن التاريخية والتراثية] التي تحكم عملية التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية داخل الحارة؟

رابعًا- أهمية الدراسة:

الأهمية العلمية: رغم اهتمام الفكر السوسيولوجي الحديث بالمكان بوصفه وعاءً للحياة الاجتماعية؛ فإنه يغيب في دراسات علم الاجتماع المعاصر، الأمر الذي دعا العديد من المهتمين بالدراسات الحضرية إلى الدعوة إلى الاهتمام بمثل هذا النوع من الدراسات، ففي عام ١٩٧٧ نشر كتاب "إليزابيث كونو" المعنون "المكان والفعل الاجتماعي" الذي ذهبت فيه إلى أن النظرية السوسيولوجية قد أغفلت دراسة المكان، ومن ثم رأت ضرورة إحيائه، خاصة في ظل التغيرات التي أوجدت تأثيرًا بالغًا على السلوك الإنساني، وفي ثمانينيات القرن العشرين قدم "نوربت إلياس" دعوة مماثلة لدراسة المكان كمفهوم علائقي من خلال إشارته إلى العلاقات الموضوعية للأحداث المتحركة، حيث يتشكل المكان من المواقف والأفعال وعلاقتها مع بعضها بعضًا، وفي عام ٢٠١٦ تجددت الدعوة إلى إعادة الاهتمام بسوسيولوجيا المكان عندما جددت "ماريتنا لو" الدعوة إلى تبني مفهوم جديد للمكان أطلقت عليه "المكان العلائقي" في كتاب مهم ورائد تحت عنوان "علم اجتماع المكان: المادية، والأبنية الاجتماعية والفعل" (سامية قدري، مرجع سابق: ٦٦).

ولم يحظ المكان الشعبي للحارة أيضًا بالاهتمام الأكاديمي الكافي من قبل المنظرين والإسهامات الأكاديمية في علم الاجتماع، مع وجود بعض الاستثناءات التي تفتقد أحيانًا معايير البحث الأكاديمي الصارمة، وبذلك تُعد الدراسة الراهنة محاولة لإثراء البحث العلمي في مجال علم اجتماع المكان، وعلم الاجتماع الحضري، والأنثروبولوجيا الحضرية، ومبادئ التنمية الحضرية المستدامة.

الأهمية التطبيقية: تقديم رؤية لصانعي القرار -بصفة خاصة-: وزارة البيئة، ووزارة الثقافة، ووزارة الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية، ووزارة التنمية المحلية بما يمكنهم من وضع وتنفيذ استراتيجية متكاملة الإجراءات للحفاظ على استدامة الحارة المصرية كنسق مكاني يعبر عن الهوية والتمظهرات الثقافية والخصوصية الحضارية والتاريخية.

خامسًا- مفهومات الدراسة:

١- مفهوم المكانPlace

إن المفهوم الثقافي والاستخدام الاجتماعي لمصطلح المكان يعرَّف من خلال الأسلوب الأمثل الذي يعكس به استخدام المكان وتوزيعه لملامح البناء الاجتماعي (شارلو تسيمور، ٢٠٠٩: ٢٧٧). ويعرف المكان بوصفه السياق الجغرافي والمعماري الذي يمارس فيه السلوك، وهناك من يعرفه بأنه "الكيان الاجتماعي" الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ويعرف المكان اجتماعيًّا من خلال ثلاث خصائص أو سمات: الموقع الجغرافي، والصورة المادية، والمعنى والقيمة التي تضاف إلى هذا المكان؛ فالشكل المادي أو الموقع الجغرافي لا يصبح مكانًا إلا من خلال إضفاء معنى عليه، فالمكان مهم للجماعة وعلاقاتها المتعددة، فكل جماعة تريد أن تضمن استمرار وجودها تسعى لصنع أماكن لها، ومثل هذه الأماكن لا تعكس فقط مسرح تفاعلاتها الاجتماعية؛ بل تطبع رموز هويتها وتحدد معالم ذكرياتها وتمنحها الوجهة والاتجاه (يان أسمن، ٢٠٠٣: ٦٩).

مفهوم المكان إجرائيًّا:

تتبنى الدراسة مفهوم المكان الثالث الذي يتجسد في الحارة كنسق مكاني، وقد حدد "أولدنبرج" أهم خصائص المكان الثالث فيما يلي:

١- مكان يمتاز بالقوة، ويعطي قيمة للمنطقة التي يقع فيها.

٢- أرض محايدة، ويتسم بالحيادية.

٣- مكان للهروب أو المهلة من واجبات الحياة.

٤- مكان متساوٍ، شامل ومتاح لعامة الناس، ولا توجد معايير رسمية للعضوية والاستبعاد.

٥- المحادثة هي النشاط المميز له.

٦- انسيابية للوصول والمغادرة، فالشخص في تلك الأماكن يمكنه أن يذهب إليها بمفرده في أي وقت تقريبًا من الليل أو النهار مع التأكد من وجود معارفه.

٧- الانتظام، يعتمد المكان الثالث بشكل ثانوي على: سعة المقاعد، أو تنوع المشروبات، أو ميزات أخرى الأمر الذي يجذب الزائر المنتظم بصورة منتظمة.

٨- البساطة؛ فالمنتظم في المكان الثالث يذهب إليه كما هو دون حاجة إلى التكلف في المظهر والملبس (سمية قطب، مرجع سابق: ١١٩) .

٢- مفهوم الحارة Hara

يشير لفظ "حارة" في اللغة العربية إلى مفهوم الحي الشعبي، وأيضًا إلى معنى الطريق الضيق، والأصل اللغوي من كلمة "حير" بمعنى الحيرة، و "حور" بمعنى الضيق والالتفاف، ويشير هذا

المعنى إلى شكل المتاهة الذي تميزت به أحياء العصور الوسطى في الحضارة العربية الإسلامية، وفي قاموس لكسيكون العربي الإنجليزي نجد أن تعريف كلمة الحارة يقترب من مفهوم الحي، فالحارة حي في المدينة، يتكون عادة من عدة شوارع ضيقة أو أزقة، ومن بيوت، يخترقه شارع له بوابة في أوله وفي آخره يتم إغلاقها، والحارة أيضًا مكان للسكن تتميز بيوته بالتجاور، وهناك استخدام آخر غير شائع نجده في لهجات شرق المتوسط، وهو الإشارة للحارة بوصفها البيت الكبير، كما تعني كلمة حارة Ruelle في اللغة الفرنسية مصغر شارع أو شارع ضيق، في حين يعرف الحي بوصفه "تقسيمًا إداريًّا للمدينة، ووحدة لها ملامحها الخاصة وتتسم بقدر من التجانس"، وتمثل الحارة في واقع الأمر مجمل هذه الملامح والتعريفات: فهي حي تخترقه طرق ضيقة ومتعرجة، ويتمتع بقدر من الاستقلالية الإدارية والجماعية، كما تحيل مجازًا إلى صورة الشارع الضيق في الحي الشعبي، مع الأخذ في الحسبان التنويعات الكثيرة المتعارف عليها في اللغة العربية للإشارة إلى الطرق الضيقة؛ مثل: زقاق، وعطفة. وإلى جانب هذا التحديد الجغرافي للحارة هناك تحديد آخر يعتمد على الوضع الديموجرافي والاجتماعي، فالحارة بجمعها بين ملامح الحياة الريفية وملامح الحياة الحضرية ترتبط بمفهوم الجماعة، ولعل من المفيد في هذا السياق التذكير ببعض الحقائق التاريخية، عند تأسيس القاهرة الفاطمية في القرن العاشر، كان سكان الحارة يشكلون جماعة يرتبط أفرادها بصلة القرابة أو الجيرة أو الصداقة، فكانت الجماعة متجانسة من حيث طبيعة العمل أو النشاط المهني، فهي تتكون عادة من التجار وعلماء الدين والحرفيين المتجمعين في طوائف عائلية أو دينية أو مهنية. الأمر الذي يُعد أهم مؤشرات القوة الاجتماعية للحارة كنسق مكاني تاريخيًّا، وقد استمرت الطوائف المهنية حتى يومنا هذا في القاهرة القديمة، حيث نجد حارات مازالت تسمى وتقسم وفقًا لحرف سكانها؛ مثل: الفحامين، والنحاسين، والخيامية، والصاغة؛ وحتى القرن التاسع عشر كان سكان الحارة خليطًا من الأغنياء والفقراء على حدٍّ سواء، وكان علماء الدين والتجار والحرفيون والطبقات الدنيا يمثلون جميعًا ما يُسمى بطائفة أولاد البلد، أما بالنسبة للتقسيم الهرمي للطبقات الاجتماعية فقد كان يتم داخل إطار المكان نفسه وليس خارجه، وفقًا لمبدأ المجاورة والتلاصق بين كافة الطبقات في الحي الواحد، لا وفقًا لمبدأ التناقض والتفرقة بين أحياء غنية وأخرى فقيرة، هكذا امتزجت الإرادة الجماعية المقننة والإرادة السياسية التي تحدد أسس المجتمع من ناحية مع الإرادة العائلية وحكم العادة للحياة الجماعية من ناحية أخرى، وذلك داخل حدود الحارة الواحدة بوصفها تلخص صورة المدينة العاصمة وتجمل عناصرها من حيث هي جماعة ومجتمع في آن واحد (مي التلمساني، ٢٠١٤: ٣٩). لذلك ارتبط مفهوم الحارة بمفهوم المجتمع وبالمجتمع المحلي بصفة خاصة في الاستخدام الأنثروبولوجي، وهو الذي يشير إلى ارتباط جماعة بحيز مكاني محدد ومحدود؛ ليعبر عن وحدة فرعية متناهية الصغر؛ مثل: حارة في جيرة من حي شعبي داخل مدينة كبيرة، وأن هذا المجتمع المحلي يدخل في علاقات يومية وأساسية مع

الحارات الأخرى داخل الحي، أي إن هذه الوحدة تتفاعل تفاعلًا حيًّا مؤثرًا مع نظائرها من الوحدات التي تماثلها حجمًا أو تكوينًا أو تاريخًا، ثم إن هذا المجتمع المحلي المحدد "الحارة" إنما هو جزء من كل "الكل هو الحي داخل المدينة"، وهو يتفاعل أيضًا مع هذا الكل، يتأثر به ويؤثر فيه غالبًا، وعن طريق هذا الكيان الأكبر -الوسيط- يتفاعل بالقطع مع الكيان الأكبر الذي ينتمي إليه هذا الحي وهو المدينة، كما ينتقل إليه من خلاله تأثير المجتمع الأكبر، وهو المجتمع القومي، واستكمالًا للتسلسل المنطقي والطبيعي ينتقل إليه من خلال هذا المجتمع القومي تأثير المجتمع العالمي الذي يصل إلى مفردات الحياة الاجتماعية والجماعية داخله (محمد الجوهري، مرجع سابق: ٧٦). غير أن الحارة تصور في الخطاب السائد سياسيًّا كان أو سينمائيًّا أو اجتماعيًّا بوصفها مكانًا مستقرًّا استطاع أن يصمد أمام تقلبات الزمن، وحظي سكانه على مدار السنوات "بصيت أبدي" جعل منهم الممثل الحقيقي للشعب المصري، وقد ميزتهم هذه الخصوصية القومية عن الأجانب؛ بل وحتى عن المصريين ذوي الثقافة الغربية أو ذوي الأصول التركية أو الأوربية، لقد امتزجت هوية المكان بهوية ساكنيه في كينونة واحدة تمثلها صور ورموز الحي القديم، فأولاد البلد يتماهون مع المكان المحلي أي المكان المنبع المحمل بعدد من القيم الأخلاقية والدينية المقدسة. ومثلت الجماعة في حارة القاهرة القديمة تشكيلات مركبة يتعارف فيها الجميع ويتشاركون في مفردات الحياة الجماعية للحي إلى جانب مفردات الحياة الاجتماعية للمدينة الكبيرة، وذلك على الرغم من التكدس السكاني الواضح. ولعل مشاهد اللقاء والنقاش على المقاهي أو عند الانتهاء من أداء الصلوات في الجوامع خير دليل على ذلك. كما اختلطت في الخطاب الرسمي الخطوط الفاصلة بين العام والخاص، وأصبح المكان العام للحارة ملكًا عائليًّا أي ملكية جماعية خاصة اكتسبت فيه الممارسات الشخصية للحياة اليومية بعدًا طقسيًّا. وتبرز "نوال نديم" أستاذة الأنثوجرافيا في دراسة أجرتها عام ١٩٨٥ عن حي الدرب الأحمر الذي تسكنه ١١٧ عائلة كبيرة كيفية الخلط بين وظائف الخاص والعام داخل الحارة:

"تستخدم الحارة الضيقة بين البيوت في إقامة علاقات اجتماعية مع الجيران واللعب وتربية الدجاج وغسل أواني الطبخ والملابس، ومن المعتاد أن ترى في ليالي الصيف الحارة أفراد العائلة ينامون في ذلك الممر الضيق أمام أبواب البيوت، وكأن الممر العام بين البيوت قد تحول بالنسبة للسكان إلى ملكية خاصة".

إن طغيان المكان الخاص على المكان العام دليل آخر على اختراق الحياة العائلية لحدود الحياة الجماعية حتى لو كان العام لا يمتلك بالضرورة الحق في التداخل مع الخاص (مي التلمساني، مرجع سابق: ٤٤).

مفهوم الحارة إجرائيًّا:

مكان سكني تتميز بيوته بالتجاور، وتمتاز شوارعه بالضيق، وهو جزء من حي داخل مدينة

القاهرة، ويتمتع بكافة المؤشرات التي حددها "أولدنبرج" -ذكرت من قبل- في وصفه للمكان الثالث، حيث تتبنى الدراسة هذه المؤشرات كمؤشرات إجرائية عند اختيار الحارة. هذا بالإضافة إلى مجموعة من المؤشرات التي حددها مقياس قوة المدن الذي يتم في ضوئها تقييم وتصنيف المدن وفقًا لقوتها الشاملة وقدرتها على التأثير على الأفراد، ومدى قوتها أو ضعفها في مواجهة تحديات العولمة والتغيرات العالمية الكبرى (Global Power City Index, 2021:1). وسوف يتم تعديل بعض المؤشرات والتركيز على بعض آخر منها بما يتناسب مع طبيعة الحارة كمجتمع محلي محدود وصغير، ومن أهم هذه المؤشرات:

١- المؤشرات الاقتصادية: توافر السوق وحجمه، وجاذبيته، والحيوية الاقتصادية وقدرته على توفير فرص العمل.

٢- المؤشرات الاجتماعية: علاقات الجيرة داخل الحارة ، وتفاعل الحارة مع غيرها من الحارات الأخرى، وعلاقتها بالمجتمع المحلي، والانفتاح على التغيرات العالمية.

٣- المؤثرات الثقافية: توافر المؤسسات الثقافية ووسائل للترفيه والراحة، وتوافر الأماكن التراثية.

٤- المؤشرات الدينية: توافر أماكن العبادة، والرموز الدينية.

٥- المؤشرات البيئية: توافر مقومات الاستدامة البيئية، والقابلية للعيش، وتوافر الأمن والسلامة.

٦- مؤشرات سهولة النقل والمواصلات.

سادسًا- المدخل النظري للدراسة:

نظرية المجال عند جورج زيمل:

ظهر معظم دراسات زيمل حول المكان في مقالتين: نشرت الأولى عام ١٩٠٣ بعنوان "علم اجتماع المكان: الإسقاطات المكانية للأشكال الاجتماعية"، وفي عام ١٩٠٨ طور هذه المقالة في فصل منفرد في كتابه "علم الاجتماع" مضيفًا إليه ثلاث مقالات حول "الحدود الاجتماعية"، و"علم الاجتماع الحواس والغريب"، دار هذا الفصل حول ثلاثة تشكيلات مكانية هي:

١- جوانب المكان الملائمة اجتماعيًا.

٢- تأثير الأوضاع المكانية على التفاعل الاجتماعي.

٣- أشكال المسافة الاجتماعية والفيزيقية والسيكولوجية.

هذه التشكيلات الثلاثة تمثل جوهر دراسات علم الاجتماع المكاني المعاصر، وربما هي التي جعلت منه رائدًا لهذا الفرع من علم الاجتماع، ويشير زيمل في المقال الأخير إلى أهمية المكان، وفي مقالته المعنونة "الباب والجسر"، على سبيل المثال، يشير إلى ضرورة فهم المكان أكثر من كونه حاوية طبوغرافية، كما ذهب كانط (سامية قدري، مرجع سابق : ٩٤).

يقول في ذلك "ما الذي تعنيه هذه الحاوية اللانهائية من حولنا الحاوية التي نطفو فيها كنقاط مفقودة، ولكننا نتصور جنبًا إلى جنب مع محتوياتها، التي هي بالتالي فينا تمامًا كما نحن فيها" (Fuller,Op.cit.,: 470).

كما يجب فهمه أيضًا في ضوء المعنى أو الأهمية التي يضيفها الأفراد عليه من خلال الفعل الإنساني. إذًا تظهر فكرة الاجتماعي - المكاني عندما يتولد إدراكه خارج الشعور الإنساني، ومن خلال إدراكنا الواقعي، فالأماكن تصبح واقعية؛ لأنها تنبع من خبراتنا.

بعبارة أخرى المكان هو شكل، ويقصد بالشكل الاجتماعي الوجود والتجاور والدخول في تفاعل بين الأفراد في حيز مكاني معين، ودلالة الشكل الاجتماعي تحيل عند زيمل إلى معنى بلاغي تجريدي؛ لأن الشكل يلخص السيرورات التي بواسطتها يجتمع الأفراد داخل وحدات فوق فردية، وأن مختلف الظواهر التي تنتج بين الأفراد الذين يدخلون في علاقات تفاعل هو ما يمنحها المظهر الاجتماعي الحقيقي، ومن جهة أخرى يتحقق المجتمع حينما يدخل أفراده في تفاعل فيما بينهم في علاقات متبادلة، مدفوعة بغايات تسمح بانخراطهم في علاقات قائمة على تأثيرات متبادلة مشكلين بذلك وحدات متنوعة، بتنوع درجة وطبيعة تلك التفاعلات والعلاقات ما يجعل الأشكال الاجتماعية متنوعة بتنوع التفاعلات الاجتماعية (أحمد الخطابي، مرجع سابق :١٧٠). فالمكان هو إمكانية التعايش والخوض في العلاقات الاجتماعية رغم أنها دائمة التغير والحركة؛ لأنها مرتبطة دومًا بغايات، الأمر الذي يفترض تحديد الشروط والخصائص المجالية للتفاعل، ومن هنا حدد زيمل خصائص رئيسية للمكان، هي:

أ- تفرد المكان: يختلف الحيز الاجتماعي باختلاف التكوينات والجماعات التي تشغله، فقد أكد كل من Bark، و Burgess أن الأماكن حقيقة قائمة على التفرد والتميز والاختلاف .(Liu, 2020: 123)

ب- لابد أن يكون المكان مقسمًا لأغراض اجتماعية، وأن يحد بحدود في تقابل مع الحدود الطبيعية. فالحدود الاجتماعية ليست حقيقة مكانية بما تحمله من آثار سوسيولوجية، ولكن حقيقة اجتماعية تشكلت مكانيًّا، وتمدنا الحدود بتكوينات مكانية للخبرة والتفاعل (قدري، مرجع سابق: ٩٦). فالحدود وحدة تحليل أساسية لفهم الشبكات الاجتماعية والكيفية التي يتفاعل بها الفاعلون داخلها وخارجها .(Liu, Op.cit:123)

ج- يؤثر توطين التفاعل الاجتماعي في حيز معين على التشكيلات الاجتماعية التي تظهر في ذلك الحيز؛ ولذلك تعتمد التنمية الحضرية على فكرتيْ تثبيت المكان وفرديته.

د- تتصف كل التفاعلات الاجتماعية بدرجة من النسبية وفقًا لقربها، وللمسافة بين الأفراد والجماعات فمع زيادة القرب الفيزيقي يتكون الحيز الشخصي. ولابد أن يرتب له لكي يحدث أو يؤدي إلى وجود مشاعر أو عواطف مفرطة.

هـ- ترتبط العلاقات المكانية بالتغير في الواقع.

و- تقوم دراسة المكان على التكاملية بين بعدين أساسيين للتفاعل الاجتماعي داخله هما البعد الذاتي؛ مثل: الشعور الذاتي بالتعلق، والألفة والانتماء، والشعور بالأمان والرضا، والأهمية الرمزية، وتأكيد الهوية، والصورة الذهنية عن المكان، والذكريات الخاصة (Lenchner,)،(Ujang,2014:710 1991: 196).

والبعد الموضوعي؛ مثل: كافة العناصر المرتبطة بالقابلية للعيش داخل المكان وجودته وخاصة الجودة الوظيفية، فينظر "زيمل" إلى العلاقات الاجتماعية (المجتمع) بوصفها سابقة في وجودها على وجود الفرد، ووجود الفرد لا يتحدد بوصفه عنصرًا من هذا الكل الاجتماعي فحسب؛ بل هناك جزء منه يقع خارج المجتمع ويعكس ذاتيته، هذا الجزء الذاتي من الفرد لا يتم إقصاؤه كليًّا من الكل الاجتماعي مادام لوجوده بهذا الشكل معنى آخر غير الذي يعطيه له المجتمع؛ بل ذلك المعنى الذي يعطيه الفرد نفسه لذاته، نحن هنا أمام ازدواجية الأنا المعمم الذي تحدث عنها "هربرت ميد" الذي يرى أن الذات تحقق كامل تطورها ونموها بواسطة تنظيم المواقف الفردية للآخرين داخل نظام اجتماعي أو مواقف جماعة ما، وفي الوقت نفسه تمتلك هذه الأنا جانبًا ذاتيًّا خاصًّا تنظم به علاقاتها بالعالم الاجتماعي وإدراكها بطريقة ذاتية. من هذا الجانب يعدُّ زيمل المجتمع هو هذا التوليف بين الحياة الاجتماعية في شقها الموضوعي السابق عن أية تجربة فردية، والجانب الذاتي الذي يتمظهر في الخصائص السيكولوجية للفرد والمتجلية في طرائق تمثله تلك المظاهر وعلاقات التبادل والتفاعل التي ينسجها؛ لتأكيد فردانيته من جهة، وانتسابه أو انخراطه في الحياة الاجتماعية من جهة أخرى (أحمدالخطابي، مرجع سابق: ١٧١).

انطلاقًا من هذا المدخل النظري سوف تعبر الحارة عن الحاوية الاجتماعية التي تشكلت داخلها العلاقات التفاعلية بين الفاعلين في ضوء العلائقية المتبادلة بين أبعادها المكانية والإيكولوجية وأبعادها الاجتماعية، وبين كل ما هو ذاتي وموضوعي بصورة تمكن من رصد الممارسات الاجتماعية كوحدة تحليلية تكشف عن الجودة الوظيفية المكانية لهذا النسق ذي الخصوصية المكانية والاجتماعية والتاريخية في ظل كافة التغيرات المجتمعية المعاصرة.

سابعًا- الدراسات السابقة:

تنقسم الدراسات السابقة إلى المحاور التالية:

المحور الأول- المكان والحياة اليومية:

سعت الدراسات السابقة لرصد الكيفية التي تتشكل بها علاقات الحياة اليومية داخل سياقات مكانية محددة، ومن أهم هذه الدراسات دراسة "ملامح تغير علاقات الحياة اليومية ببعض أحياء القاهرة التاريخية"، وتوصلت إلى أن هناك علاقة قوية بين الخصائص الإيكولوجية وتشكل واقع

الحياة اليومية وتفاعلاتها؛ حيث أثر في ذلك موقع المنازل وتلاصقها وقرب النوافذ ومداخل البيوت بصورة إيجابية كما أشارت إلى أن علاقات الحياة اليومية رغم أنها تتم في مجال مكاني وزماني محددين، ومرتبطين بأحداث بعينها؛ فإنها تمارس بتلقائية حيث العادات الفردية والتصرفات الروتينية (عنان محمد، ٢٠١١: ٢٨٣). ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة انطلقت لرصد الحياة اليومية التي تتم عبر عدة مستويات مكانية؛ هي: المجتمع المحلي، والحارة، والجيرة، والمسكن، فاتسع الحيز المكاني ليشمل المجتمع المحلي، ثم ضاق شيئًا فشيئًا حتى الوصول إلى الوحدة السكنية الصغيرة، ولأن ظهور المدينة الحديثة تبعه تبلور نسق مكاني أكثر اتساعًا فقد دعمت كما أشار "جيدينر" إلى نسيج الحياة اليومية بطريقة مختلفة، وجعلته يختلف أشد الاختلاف عن ذلك الذي كان سائدًا في المجتمعات التقليدية المحدودة، حيث كان تأثير العادات قويًّا وبارزًا على الدوام، وحتى في حياة المدن اليومية كان أغلبية السكان يتطبعون بطابع أخلاقي يتسم بارتباط الحياة اليومية بالأزمات والتحولات في الوجود الشخصي نتيجة للمرض والوفاة ودورة حياة الأجيال. فقد كانت هناك أطر أخلاقية ذات جذور دينية -في العادة- تقدم حلولًا نمطية جاهزة؛ لمواجهة تلك الظواهر أو التوافق معها عن طريق الامتثال للممارسات التقليدية الراسخة كما جاء في دراسة "خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري" . كما ظهرت دراسة الحياة اليومية للشباب في المدن الجديدة؛ لتؤكد أن المدينة الجديدة كنسق مكاني أكثر اتساعًا قد اختفت فيه تلك الأطر الأخلاقية، واتسمت الحياة داخلها بالروتينية والرتابة، فالحياة اليومية فيها تتميز بالهدوء والاستقرار والانتظام الأمر الذي دفع بعض أهل الحارة إلى اللجوء لبعض الممارسات التي تخرج عن المألوف كنوع من كسر الملل والرفض، حيث كونوا لأنفسهم عالمًا خاصًّا، أو ثقافة خاصة تميزهم من غيرهم ممن في الأماكن الأخرى (سامية قدري، مرجع سابق: ٢٩٩).

المحور الثاني- صناعة المكان:

يُقصد بها كافة الآليات والطرق المستخدمة في تحسين المكان وإدارته وتخطيطه حضريًّا من خلال التأثير على الطبيعة التشكيلية للأماكن بما يحقق الغاية منها في تلبية احتياجات الأفراد؛ من هنا انطلق بعض الدراسات لترصد الكيفية التي يعيد بها المخططون الحضريون صياغة وتشكيل الأماكن مع الحفاظ على الهوية الفردية والجماعية، فجاءت دراسة "آفاق في صناعة المكان" لتوضح أهم مسلمات عملية صنع المكان، ومن أهمها:

التحقق من التأثير الإيجابي للمكان، فمفهوم صناعة المكان يرتبط عادة بالذاكرة التي تترك انطباعًا وتفاعلات مستديمة لدى الأفراد، ويضفي على الأماكن صفة الاستدامة.

- التأكد من صناعة المكان الحيوي بتصاميم تتجاوز التقليد.

- توافق الدراسات والتخطيط مع المكان، حيث يكمن هدف التخطيط الحضري في صناعة المكان كممارسة في إنتاجه وإعادة إنتاجه.

– إضفاء صور من معانٍ وجماليات للفضاء الحضري يجعل منه بيئة مكانية أكثر ملاءمة لحياة الإنسان (إبراهيم جواد، ٢٠٢٢: ٦)، فقد أكدت دراسة كل من Ujang, Zakariya 2014, Relph, 1976, Gieryn 2000 عن الأحياء الحضرية للمكان وكيفية إعادة صياغتها من خلال المعنى الخاص بها كالألفة والمعرفة المكانية والقلق والخبرات الذاتية على أن كل هذه المعاني لابد أن تؤخذ في الحسبان عند التخطيط الحضري للأماكن، أو محاولة إعادة إنتاجها حتى وإن كانت تعبر عن رؤى ذاتية، فهي في النهاية تعطي للمكان قدرة على الاستدامة داخل الأفراد، فالأماكن الحضرية هي فضاء مشبع بالمعاني، وفقدان المكان أو الاغتراب عنه أو صناعته بطريقة تتجاهل هذه المعاني الذاتية له آثار سلبية –كما وضحها Fullilove 1996 – على الأفراد وفقدانهم للهوية الجماعية والذاكرة والتاريخ (Ujang and Zakariya,Op.cit.,:717). وأن من أهم عيوب إعادة إنتاج الأماكن الحضرية هو تركيز المخططين على الأبعاد المادية لها متجاهلين الأبعاد الاجتماعية الأخرى المتمثلة في كافة المعاني الخاصة بالمكان. فبينت دراسة Identity and Its Effect on Positive Design for Interior Space.

أن معظم عمليات التفكير عند تخطيط الأماكن وفراغاتها الداخلية تعتمد على حل المشكلات المعمارية ووضع تصميم للفراغ مع إغفال جانب التعلق الإيجابي لمستخدم المكان الأمر الذي يؤثر بصورة سلبية على تلبية احتياجاته، فقد يشعر بالضيق وعدم الارتياح ويفتقد شعوره بالانتماء للمكان (Mostafa, 2021: 548).

المحور الثالث- الأداء الوظيفي للمكان:

يقوم المكان بأداء وظيفي متعدد الأبعاد مسهمًا بذلك في إشباع احتياجات ساكنيه، وقد تمكنت الدراسات السابقة من رصد مجموعة من هذه الوظائف؛ أهمها:

١- الوظيفة الاقتصادية: تُعد الوظيفة الاقتصادية للأماكن من أهم الوظائف التي تقدمها للأفراد، ومن بين أهم الدراسات التي اهتمت بهذا البعد الوظيفي دراسة: "الأسواق التقليدية بمدينة الإسكندرية: دراسة في الأنثروبولوجيا الاقتصادية"، وتناولت هذه الدراسة الأسواق التقليدية بمدينة الإسكندرية وتوصلت إلى أن هذه الأسواق كأنساق مكانية وإيكولوجية تتمتع بدرجة من التكامل والاعتماد الوظيفي الاقتصادي المتبادل، وتظهر أبرز صور هذا التكامل في اعتماد بعض هذه الأسواق على بعضها الآخر كمصدر للحصول على ما يلزمها من المواد الخام ولوازم الإنتاج لحدوث المنفعة الاقتصادية (فاتن أحمد، ٢٠٠٤: ١٧٨).

٢ – الوظيفة الاستثمارية: أوضحت الدراسات السابقة أن هناك بعض الأمكنة تتيح عددًا من الأنشطة الاستثمارية، وأن الحفاظ عليها مرتبط بالحفاظ على المقومات الحضارية لهذه الأماكن، ومن بين هذه الدراسات دراسة: "التحليل المكاني للمباني التراثية في مدينتيْ الهفوف والمبرز: بمحافظة الأحساء" وتوصلت إلى أن هناك بعض المناطق التراثية تمثل موارد استثمارية قائمة سهلة الاستغلال، الأمر الذي يزيد من قيمتها مهما مر عليها الزمن، وأن إعادة التوظيف تعتمد على استغلال هذه الأماكن

كمزارات أو في تحقيق أغراض تقليدية أخرى تحقق المنفعة الاستثمارية (مها حسنين، ٢٠٢١: ١٣٧٥).

٣- الوظيفة الاجتماعية: يحقق المكان كما كشفت الدراسات السابقة عدة وظائف اجتماعية يأتي في مقدمتها الشعور بالانتماء، ومن أهم الدراسات التي اهتمت بقدرة المكان على تعزيز الشعور بالانتماء لدى أفراده دراسة "القيام بالانتماء: دراسة سوسيولوجية عن الانتماء للمكان كنتيجة للممارسات الاجتماعية"، وافترضت الدراسة أن الشعور بالانتماء إلى الأماكن يقترن بقدرتها على إعطاء الأفراد مكانة اجتماعية وتحويلهم إلى مشاركين نشطاء في الحياة الاجتماعية، واستعانت الدراسة بالمنهج الظاهراتي، وأداة المقابلة والصور والمذكرات، وخلصت إلى أن المكان ليس مجرد خلفية للحياة الاجتماعية؛ بل هو جزء لا يتجزأ من الممارسات الحياتية التي يقوم بها الناس، كما ظهر التعلق أيضًا كأحد الوظائف الاجتماعية المهمة التي تتحقق داخل الأمكنة، ومن بين الدراسات التي أوضحت ذلك دراسة بعنوان "المنزل يكون حيث القلب يكون" وهدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين مكان الإقامة وعدة متغيرات؛ أهمها: التعلق، والهوية (سمية قطب، ٢٠٢١: ١٢٧).

كما جاءت دراسة: "التأثير المتبادل بين الواقع العمراني للمساكن والهوية الثقافية الاجتماعية للسكان: حالة دراسية للبلدة القديمة بنابلس"؛ لتؤكد على العلاقة القوية بين المكان وتعلق الأفراد به، وتأثير ذلك على الهوية الثقافية والاجتماعية. فالأماكن كما أشار كل من "Pecher kina, Kosh 2021" تظهر كآلية لدراسة عمليات تشكيل الهوية وتأكيدها وتفعيلها والتحقق منها في ضوء ربطها بكافة التغيرات الاجتماعية والثقافية والجغرافية.

المحور الرابع- الحارة كنسق اجتماعي مكاني:

ارتبط مفهوم الحارة كنسق اجتماعي مكاني بالروائي القدير "نجيب محفوظ"، حيث قدمت وجسدت في عالمه الروائي على أكمل وجه بكافة أبعادها: العينية، والفنية، الحقيقية والوهمية، حيث التكية والأناشيد، والسور العتيق والقرافة، والزاوية وعالم الخلاء، ثم حياة الحارة المليئة بالصخب والعنف، وحيث الميلاد والموت، وسعي الحياة للمهمشين، وتاريخ أجيال الفترات، وحياة الصعاليك والحرافيش في مزاوجة بين الحلم والواقع. فقد عاش نجيب محفوظ شيخًا للحارة المصرية يعرف تاريخها وتاريخ ساكنيها وعلاقاتهم بالأحياء الأخرى، ثم علاقاتهم بالوطن عبر مراحل التاريخ وعبر الأجيال أو عبر حوادث كبرى تغير شكل الحارة أو وظيفتها، وزاد "نجيب محفوظ" على ذلك خبرة السنين التي أمهلته أكثر من تسعين عامًا وسط أهل الحي ووسط الوافدين على المدينة، وهو أمر زاد بدراسته للفلسفة، ودراسة الحياة، الأمر الذي جعله قادرًا على الوصف والرصد والتحليل، ولقد اختار "محفوظ" الحارة بمفهومها الواسع واختار الأزقة والشوارع والأحياء المختلفة؛ ليختبر فيها شخصياته وأفكاره فخرج علينا بهذا الزخم من العناوين والأسماء والشخصيات الدالة، كما بينت دراسة: "تحولات الرؤية في تراجيديا الحارة

عند نجيب محفوظ" إنه ليس من الغريب أن تسمى بعض الروايات بأسماء الأماكن المحببة إليه التي عاش فيها: بين القصرين، قصر الشوق، السكرية، زقاق المدق، خان الخليلي؛ ولا ننسى اهتمامه بناس الأماكن في: الحرافيش، وأولاد حارتنا، والطريق، والسراب، والقاهرة الجديدة، والقاهرة ٣٠؛ وأوضحت دراسة "تشكيل الحارة في روايات نجيب محفوظ: رواية ملحمة الحرافيش أنموذجًا دراسة وصفية تحليلية" أن الحارة في هذه الرواية تحديدًا تمكن "نجيب محفوظ" من تشكيلها عبر تضافر من البناءات والأنسجة، وقد تجلي ذلك في: الحارة حاضنة الملحمة، وتشكيل الحيز المكاني في الرواية، وتشكيل الإنسان في الحارة، وتشكيل الزمن في الحارة، وتشكيل مفردات الخيال فيها أيضًا، وهذه القطاعات هي المكونة لشكل الحارة كما ابتغاها "محفوظ"، وسعى إليها؛ ليحملها بكل ما يبغي من رموز وأفكار ورؤى، وهي قطاعات سمحت له بأن يقفز بسهولة في مساحات غير محدودة من الأماكن والأحداث وسلوكيات الشخصيات دون قيود الحقيقة والخيال وحدودهما. فالحارة في الخطاب الروائي عند نجيب محفوظ ظهرت وفقًا لتعريف المكان المغاير الذي صكه "ميشيل فوكو" الذي يعني نقل الأحداث الواقعية إلى فضاء آخر مغاير؛ لتكتشف من خلاله أن المكان ليس مجرد فضاء فيزيقي وإنما مكان حي يعمل على تشكل الحياة الاجتماعية داخله (ولاء أسعد، ٢٠٢١: ٤). وقد ظهرت الحارة أيضًا كمفهوم علائقي يعكس التبادلية في أبعاد المكان والحياة والعلاقات الاجتماعية القائمة بداخله في دراسة: "مفهوم الحارة: دراسة تاريخية اجتماعية لحارة السكرية" التي اهتمت بإيضاح كيفية ارتباط الحارة كمفهوم إيكولوجي وتاريخي بالوحدات الإدارية والاجتماعية والثقافية في المدينة ككل، فالحارة تعدُّ من أشد الوحدات الإدارية كثافة في المدينة من الناحية الديموجرافية؛ أما من الناحية الاجتماعية والثقافية فسكانها ينتمون إلى أشد القطاعات تقليدية في القاهرة، وإذا ما توقع المرء وجود علاقة تقليدية في مكان ما في القاهرة فإنها ستكون منتشرة أساسًا في مثل هذا المكان (محمد الجوهري ، ١٩٩١: ٨٩)، واهتمت دراسة "الجيرة" التي طبقت في حارة "الشركس" بالبحث عن امتداد الجيرة داخل هذه الحارة، بمعنى الحدود التي يرى سكان الجيرة أن جيرتهم تمتد إليها، والجدير بالذكر أن امتداد الجيرة يعبر عن مستويات من تفاعل العلاقات تضم علاقات الوجه للوجه، كما تتسع لتشمل العلاقات السطحية أو مجرد إلقاء التحية، وما بينها من مستويات للتفاعل بشقيه الإيجابي والسلبي. وكما بينت الدراسة أن اختلاف مواقع سكن الأسر المقيمة في بداية الحارة ونهايتها وأزقتها وعطوفها قد أسفر عن وجود بعض العوامل المهمة والمؤثرة التي يتحكم أحدها أو بعضها في إحساس الإنسان بحدود جيرته، وتتلخص تلك العوامل في الموقع الجغرافي للمسكن، وطول مدة الإقامة بالمنطقة، ومكان الإقامة السابقة، ومكان إقامة بعض الأقارب أو الأصدقاء في حارة أو عطفة قريبة، ثم بعض التعاملات الاقتصادية والدينية،

وتمكنت الدراسة من تغطية تلك العوامل بالبحث المستفيض لكونها تتدخل في تحديد المجتمع المحلي المدروس على مستوى الواقع الموضوعي وعلى مستوى الوعي الذاتي و"دراسة الحارة في السينما المصرية ١٩٣٩- ٢٠٠١" وتناولت الكيفية التي ظهرت بها الحارة سينمائيًّا لمكان اجتماعي: المعيش، والمتصور، والمدرك بوصفه حيزًا متماسكًا، ذو تضامن وتفاعل وعزة قومية، وبوصفه أيضًا مساحة للإبداع. فالمكان الاجتماعي كما وصفه "هنري لوفيفر" نتاج للمجتمع ولعملية تاريخية تتنامى عبر الزمن عبر تمثيلات وممارسات ترتبط بالمكان الفيزيقي وتنتج عنه دون أن تقتصر عليه؛ فالمكان الاجتماعي إذًا هو إبداع متفرد ومنتج متكرر في آن واحد، ويمكن تناوله وفقًا للوفيفر من خلال ثلاث عمليات شديدة الارتباط، هي: الإدراك، والتصور، والتجربة المعيشية (مي التلمساني، مرجع سابق: ٤٤).

كشفت الدراسات السابقة عن عدة عوامل لابد من أخذها في الحسبان تتمثل فيما يلي:

١- إن دراسة المكان من الدراسات البينية المهمة التي ظهرت في فروع مختلفة من العلوم؛ كالأدب، والهندسة والعمران، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، واتفقت جميعها على بلورة مفهوم العلائقية المكانية أي صعوبة دراسة المكان كحاوية مادية أحادية الأبعاد خالية من البشر وممارساتهم الاجتماعية؛ فالمكان دائمًا وأبدًا مسرح لإقامة التفاعل الاجتماعي عن طريق فاعلين اجتماعيين يمارسون دورًا ليس هينًا في تشكيله هو الآخر.

٢- إن مفهوم "صناعة المكان" يصنع ويصاغ ويشكل وينتج ويعاد إنتاجه مرة أخرى بمرونة وديناميةبما يتلاءم مع التغيرات المجتمعية ومع احتياجات قاطنيه، وما يمكن الاستفادة منه في دراسات التنمية الحضرية؛ للكشف عن كافة آليات صنع الأماكن وتنميتها بصفة عامة. والحارة بصفة خاصة كنسق مكاني له خصوصية ثقافية وتاريخية ليست هينة بما يعزز ويدعم تحقيق التنمية الحضرية المستدامة والحفاظ على الهوية الثقافية في الوقت ذاته.

٣- المكان وحدة تحليلية لفهم ديناميات الحياة اليومية وبلورة معالم الثقافة والهوية الفردية والجماعية.

٤- دراسة المكان لابد أن تنبع من رؤية تكاملية لكافة الأبعاد الذاتية والموضوعية التي تشكله بطريقة معينة.

٥- يتميز المكان والمرحلة التاريخية التي يمر بها بالدينامية والتغير؛ لذلك تحاول الدراسة الراهنة الكشف عن الآليات التي تستخدمها الحارة في القيام بوظائفها وتدعيم استدامتها في ظل تواتر عمليات التغير الاجتماعي.

٦- يعد تعدد وظائف المكان وقدرته على إشباع احتياجات أفراده في مراحل تاريخية مختلفة من مؤشرات استدامته وقوته.

٧- بينت الدراسات إمكانية اللياقة والتعددية المنهجية عند دراسة موضوعات مهمة؛ مثل:

المكان، والحارة المصرية، وذلك من خلال توظيفها لعدد من المناهج والأدوات المختلفة؛ مثل: الاستبيان، والمقابلات المتعددة، والمقاييس، والسير الذاتية، ودراسة الحالة، والملاحظة بالمعايشة والمشاركة. الأمر الذي يوحي بقابلية متغيرات الدراسة للفهم والتفسير عن طريق توظيف المناهج والأدوات الملائمة.

ثامنًا- الاستراتيجية المنهجية للدراسة:

١- نوع الدراسة: وصفية تحليلية.

٢- منهج الدراسة: نظرًا لما تتمتع به طبيعة الحارة المصرية -موضوع الدراسة- من واقع قابل للمعايشة والملاحظة فقد فرضت هذه الطبيعة ضرورة المزاوجة بين المنهج الأنثروبولوجي والمنهج الوصفي التحليلي بما يسمح للدراسة برصد المعلومات الكافية واللازمة المتعلقة بكافة الوظائف الاجتماعية المعاصرة التي تقدمها الحارة لساكنيها.

٣- وحدة الدراسة: الأسرة.

٤- أدوات الدراسة:

أ- دليل المقابلة المتعمقة: اعتمدت الدراسة على دليل المقابلة المتعمقة للحصول على بيانات أكثر عمقًا عن حالات الدراسة؛ وفيما يتعلق بمراحل إعداد هذا الدليل فبعد أن تمت صياغته بما يخدم أهداف الدراسة تم عمل اختبار قبلي Pre Test، وذلك بتطبيقه على حالتين من حالات الدراسة؛ وذلك للتأكد من تغطيته لكافة الأبعاد التي تريد الدراسة الوقوف عليها والتحقق منها، كما تم عرضه على مجموعة من المحكمين. وقد اشتمل الدليل في صورته النهائية على المحاور التالية:

- البيانات الأساسية.
- الوظائف الاجتماعية المعاصرة للحارة.
- الأبعاد الموضوعية للسكن في الحارة.
- الأبعاد الذاتية للسكن في الحارة.

ب- دليل الملاحظة: تم تصميم دليل الملاحظة؛ للتأكد من المعلومات والبيانات المتعلقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لحالات الدراسة، وبالأوضاع الإيكولوجية للحارة، وبتفاصيل الحياة اليومية للأسر.

٥- أساليب التحليل والتفسير: اعتمدت الدراسة على أسلوب التحليل الكيفي، وتم تحليل وتفسير المادة الميدانية في ضوء المقولات النظرية التي انطلقت منها الدراسة، وفي ضوء التحولات المعاصرة على مستوى السياق البنائي العالمي والمحلي.

٦- مجتمع الدراسة: حارة الشيخ ريحان بحي عابدين: نظرة عامة.

يعد حي عابدين من أقدم أحياء القاهرة التاريخية التي أسسها الخديوي إسماعيل، ويحمل الحي

اسم قصرها الملكي(*)، ونجد أن منطقة عابدين التي أصبحت قلب القاهرة الآن كانت عبارة عن مجموعة من البرك الراكدة، ومنها بركة الفراعين وموقعها سراي القبة الحالي، وبركة السقايين والناصرية، ومجموعة من المستنقعات تتخللها سلسلة من الهضاب، وقام الخديوي بتسويتها وردم البرك وأصبحت هذه المنطقة من أجمل مناطق القاهرة الحديثة وأصبح حي عابدين مركزًا للحكم، وقد بنيت بيوت رجال السياسة حول القصر ومنها قصر "سعد زغلول" و"محمود باشا الفلكي" وغيرهم، وقامت أيضًا مقار الأحزاب الكبرى والقنصليات والسفارات، وأقيمت حوله أيضًا دور الصحف الكبرى مثل "روزاليوسف"، وعندما لم يتسع الحي لتلبية كل طلبات الجهات المتصلة بالحكم فتم الاتجاه إلى الحي الجديد وهو جاردن سيتي، وأصبح الحي مقرًّا لسكن كل من يعمل بالمصالح والوزارات، كما سكن فيه أيضًا معظم أبناء السودان والنوبة ونجد أن أهم ما يميز هذا الحى انتشار الوزارات السيادية كوزارة الداخلية ووزارة العدل ووزارة المالية والاتصال والتعاون الدولي، فضلًا عن سيادة الطابع الأثري للحى وخاصة في جانبه الديني، ومن أهم هذه المناطق الدينية الأثرية "مسجد الشيخ عبد الله، ومسجد شركس، وسيدي عماد الدين، وزاوية الشيخ رمضان، ومسجد وسبيل جنبلاط، ومسجد سلطان شاه، ومقام الشيخ ريحان، وكنيسة سان جوزيف، والأرمن، والإنجيلية". كما انتشرت مجموعة من المدارس الحكومية والخاصة والأزهرية، ومجموعة من الأسواق؛ مثل: سوق التوفيقية، والإثنين النموذجي، ومجموعة من المستوصفات والمراكز الطبية والخدمية والجمعيات الأهلية، والعديد من المحلات والورش الصغيرة والمقاهي، التي تعكس في مجموعها أهم مؤشرات قوة المكان الذي يتمتع بها حي عابدين، وتبلغ مساحة حي عابدين الكلية ٦,٦ كم مربع، ويبلغ عدد السكان ٧٤١٩٢ نسمة. وتتمثل الحدود الإدارية للحي فيما يلي:

الحد الشرقي: ش الظاهر - ش الفجالة - ش كلوت بك - ميدان الأوبرا - ش الجمهورية - ش شريف - باشا الكبير- ش بور سعيد.

الحد الغربي: ش قصر العيني- ش طلعت حرب- جزء من ش ٢٦ يوليو- ش الجلاء- ش الترعة البولاقية- ش شنن- ش المنصوري.

الحد الشمالي: ش رمسيس- ش السبتية.

الحد الجنوبي: ش إسماعيل أبو جبل- سويقة السباعين- ش مجلس الأمة.

(*) يرجع اسم القصر الملكي إلى "عابدين بك" أحد القادة العسكريين في عهد محمد علي باشا .

خريطة رقم (١)

وتعد حارة "الشيخ ريحان" من أبرز الحارات داخل حي عابدين وأكثرها شهرة، وذاع صيتها التاريخي والديني لاحتوائها على مقام "الشيخ ريحان"، ويُعد الشيخ ريحان أحد الأولياء الصالحين الذين عاشوا بالمنطقة ويعود نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب ثم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أهم عوامل اختيار هذه الحارة لتطبيق الدراسة الميدانية -بالإضافة إلى قوة المكان الدينية والأثرية- موقعها الاستراتيجي، حيث إنها لا تعد حارة منعزلة عن المجتمع المحلي الذي يضمها بين أروقته وهو حي عابدين؛ وذلك لقربها من الشارع الرئيسي، ومن ساحة قصر عابدين التي تتفرع بصورة مباشرة من شارع الشيخ ريحان الرئيسي الممتد من خلف مجمع التحرير حتى تقاطعه مع شارع بورسعيد مرورًا بميدان عابدين ومقر وزارة الداخلية القديم، وقبل ذلك كان هذا الشارع يسمى باسم السلطان حسين. وهو السلطان حسين كامل بن الخديوي إسماعيل سلطان مصر من سنة ١٩١٤، لتجد نفسها نسق مكاني يحمل كل متناقضات التاريخ والمعاصرة(*).

(*) محافظة القاهرة، رئاسة حي عابدين، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.

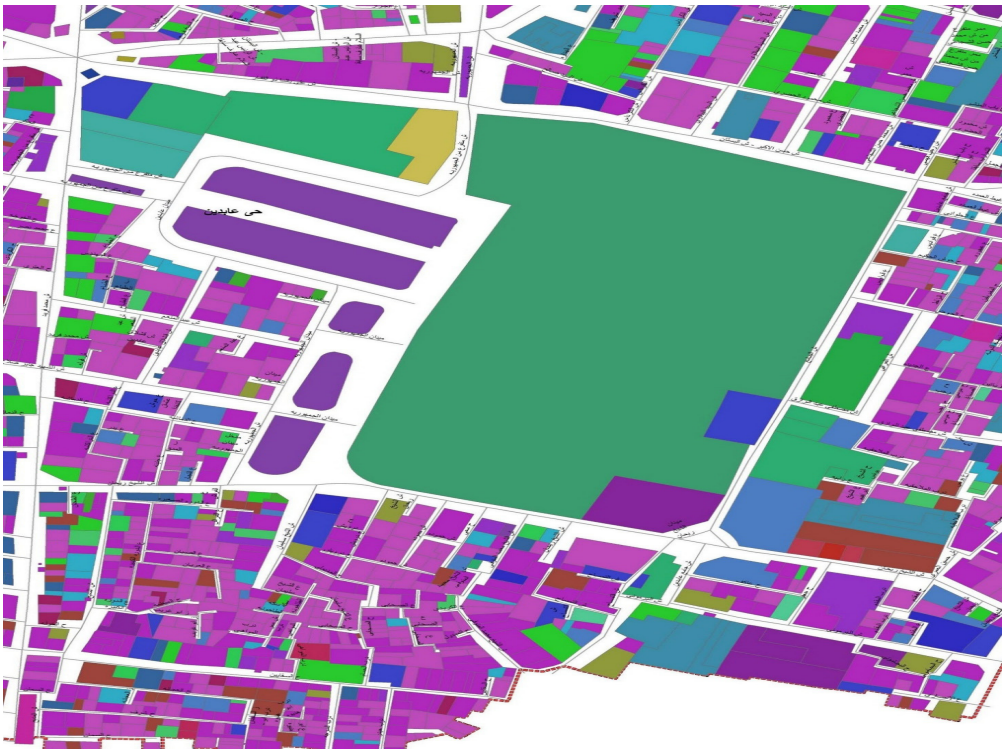

خريطة رقم (٢)

٧- معايير اختيار حالات الدراسة: تم اختيار(١٦) حالة من الأسر القاطنة في حارة الشيخ ريحان بطريقة عمدية روعي فيها التنوع في السن وفي النوع وفي الجنسية، والمستوى التعليمي، والمستوى المهنى، والاقتصادي، وطبيعة العمل، والحالة الاجتماعية.

تاسعًا- الخصائص الديموجرافية لحالات الدراسة:

تنقسم حالات الدراسة من حيث خصائصها الديموجرافية إلى ثلاث شرائح اجتماعية:

١- الشريحة الدنيا.

حازت الشريحة الدنيا على العدد الأكبر من حالات الدراسة، ويرجع ذلك إلى أن الحارة تعد مكانًا نموذجيًّا لسكن الشريحة الفقيرة؛ فالحارة مكان اجتماعي فقير ذو طابع شعبي نظرًا لتدني بعض الأوضاع العمرانية والاجتماعية، وانخفاض مستوى معيشة ساكنيها.

بلغ عدد الحالات المنتمية إلى هذه الشريحة (٨) أسر من إجمالي عدد الحالات، وهي الحالات (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨) وقد بلغ متوسط الدخل فيها١٦٠٠ جنيه شهريًّا، وقد عانت جميع الأسر من عدم ثبات الدخل واستقراره فضلًا عن هشاشته، وتنوعت مصادر الدخل فيما بين الحالات، فبعض الأسر اعتمدت على عمل رب الأسرة مثل الحالات (١، ٢، ٧)، أو عمل ربة الأسرة مثل الحالة (٤)، أو عمل كليهما

معًا مثل الحالتين (٥، ٦)، في حين اعتمدت الحالة رقم (٣) على عمل أحد الأبناء، والحالة رقم (٨) اعتمدت على المساعدات الخيرية، وعن مؤشر الملكية في إطار الشريحة الدنيا فلم يدل إلا على افتقار كل حالات هذه الشريحة إلى أية ممتلكات تذكر، أما الحالة الاجتماعية فقد كانت جميع الحالات في هذه الشريحة ضمن فئة المتزوجين فيما عدا الحالتين (٣، ٨) فقد عانتا من الترمل.

ولم يكن مؤشر الحالة التعليمية للأسر داخل هذه الشريحة بأحسن حال عن غيره من المؤشرات السابقة، فأوضحت البيانات تدني الحالة التعليمية للأسر وذلك على مستوى الجيلين من الآباء والأبناء؛ فعلى مستوى الآباء تدرجت الحالة التعليمية من فئة أمي مثل الحالة رقم (٥) ومرورًا إلى فئة يقرأ ويكتب مثل الحالتين (١، ٤)، وفئة الشهادات الثانوية مثل حالات (٢، ٧، ٨)، وصولًا إلى فئة الشهادة التعليمية المتوسطة مثل الحالة رقم (٦) كحد أقصى للدرجات التعليمية التي حصلوا عليها. أما عن الأمهات فقد عانت كل من الحالات (١، ٣، ٤، ٥، ٨) من الأمية، بينما حصلت كل من الحالات (٢، ٦، ٧) على الشهادة الثانوية. أما عن جيل الأبناء فقد عانى هو الآخر من تدني مؤشر الحالة التعليمية بعد استثناء الحالات صغيرة السن من الدراسة الميدانية التي لم تستفد من الحارة حتى الآن كنسق مكاني متعدد الوظائف؛ فكانت أقصى درجات تعليمية وصل إليها الأبناء هي الشهادة التعليمية المتوسطة في الحالة رقم (٣) وحصل جميع الأبناء في باقي الحالات على الشهادة الثانوية التجارية كشهادة تعليمية نهائية.

أما المسكن: فقد ظهر في حالة إيكولوجية جيدة من الخارج، ويرجع ذلك إلى اهتمام رئاسة حي عابدين بالحارات المتفرعة منه إيكولوجيًّا، أما من الداخل فتواضعت الخصائص الإيكولوجية للمسكن؛ حيث ضيق المساحة واحتوائه على أثاث بسيط وبعض الأجهزة الضرورية كالتليفزيون والغسالة والبوتاجاز، وساد بين الحالات اقتناء المسكن عن طريق الإيجار الذي بالكاد يقومون بسداده؛ لعدم ثبات الدخل وقد أتاح لهم العيش داخل الحارة المسكن الملائم إيكولوجيًّا، والقريب من فرص العمل فجميع حالات الدراسة سواء في الشريحة الدنيا أو غيرها من الشرائح الأخرى يعملون في الحارة أو بالقرب منها ففي الحالتين (٢،١) وجدت مهنة البائع في إحدى الأكشاك الموجودة داخل الحارة، والحالتان (٤، ٥) تعملان داخل جمعية عماد الدين الشرعية القائمة في الحارة، أما الحالة رقم (٦) فتعمل ربة الأسرة فيها مشرفة في حضانة عماد الدين، كما وجدت مهنة الكهربائي في الحارة مثل الحالة رقم (٧) ومهنة الميكانيكي في الحالة رقم (٨).

الأمر الذي يثبت حقيقة ما تفترضه الأدبيات الحضرية عن فكرة التفضيل السكني أن اختيار السكن عند الفقراء دائمًا وأبدًا يتحدد كنتيجة للتفاعل بين ثلاثة متغيرات رئيسية، هي:

- نمط الحيازة أي: الاختيار ما بين الملك أو الإيجار.
- قرب الموقع من فرص العمل المتاحة.
- التسهيلات والمزايا، ونوعية السكن.

٢ - الشريحة الوسطى:

بلغ عدد الحالات فيها (٥) حالات، وهي (٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣) وقد حملت جميعها الجنسية المصرية ما عدا الحالة رقم (١٣) فالأسرة من أصول سورية. وتفوقت على سابقتها في ارتفاع مؤشر متوسط الدخل الشهري حيث وصل إلى٣٩٠٠ جنيه شهريًّا، فضلًا عن ثباته عند بعض الحالات مثل الحالات (٩، ١١، ١٢). أما عن مصادره فتعددت ما بين حصول إحدى الحالات على المعاش مثل الحالة رقم (٩)، وعمل أرباب الأسر في كل من الحالتين (١١، ١٢)، وعمل رب الأسرة بمفرده في الحالة رقم (١٠). أما الحالة الاجتماعية فقد اندرجت جميع حالات هذه الشريحة ضمن فئة متزوجين. وعن مؤشر الملكية فلم يختلف عن الشريحة الدنيا، ولم تظهر لديهم أية ممتلكات تميزهم من غيرهم، ولكن ظهر تحسن ملحوظ في مستوى الحالة التعليمية في إطار هذه الشريحة، فظهرت الشهادة التعليمية الجامعية عند أرباب الأسر في الحالتين (١٢، ١٣)، وما يعادل الشهادة الثانوية في الحالتين (٩، ١١) أما الحالة (١٠) فاندرجت تحت فئة أمي، وذلك على مستوى جيل الآباء، أما مستوى جيل الأبناء بعد استبعاد صغار السن نجد أقصى شهادة تعليمية تم الحصول عليها هي الشهادة التعليمية المتوسطة وذلك في الحالة رقم (١٠). كما ظهر تنوع مهني يتناسب مع الحالة التعليمية لكل أسرة فظهرت: مهنة المحاسب، ومهنة المدرسة، وذلك في الحالة رقم (١٢) وهم الذين حصلوا على شهادات تعليمية عليا، ومهنة شيف في الحالة رقم (١٣). كما وجدت مهنة سائق الإسعاف في الحالة رقم (١١) ومهنة "الميكانيكي" في الحالة رقم (١٠)، أما الحالة رقم (٩) فهي في سن المعاش.

أما المسكن: فلم يختلف كثيرًا عن المسكن في الشريحة الدنيا سواء من حيث المظهر الإيكولوجي الخارجي أو من حيث المقتنيات الداخلية، فالمظهر الخارجي عكس اهتمام رئاسة الحي بالبيئة الإيكولوجية للمنطقة، حيث الصيانة المستمرة للمباني ورصف الطرق والشوارع وكثافة حملات النظافة والتجميل. أما المظهر الداخلي فكلا الشريحتين اشتملت مساكنها على الأجهزة الأساسية مثل "التليفزيون، والغسالة، والأسرة، وأماكن لجلوس الضيوف" فلم تتميز الشريحة الوسطى بأية فخامة أو اختلاف كبير في الفرش والأثاث عن سابقتها فهم بالكاد يلبون طلباتهم المعيشية في ظل ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة.

٣- الشريحة العليا:

اشتملت على (٣) أسر، هي الحالات (١٤، ١٥، ١٦)، وانتمت الحالتان (١٤، ١٥) إلى الجنسية المصرية، في حين أن الحالة رقم (١٦) انتمت إلى الجنسية السودانية. ويعدُّ مؤشر الدخل من المؤشرات الدالة على الشريحة الاجتماعية الذي وجد بطبيعة الحال مرتفعًا لدى هذه الأسر عن غيرهم من الأسر في بقية الشرائح الاجتماعية الأخرى، فقد وصل متوسط الدخل فيها ٨٠٠٠ جنيه شهريًّا، وواكب ذلك ارتفاع ملحوظ في مؤشر الملكية، فقد ظهر لدى الحالات الثلاث بعض الممتلكات؛ مثل: امتلاك معرض

للأجهزة الكهربائية، وسيارات عند كل من الحالتين (١٤، ١٥)، وامتلاك بيت سكني للعائلة فضلاً عن امتلاك سيارة خاصة للأسرة، وذلك في الحالة رقم (١٦). كما ظهر تحسن ملحوظ أيضًا في الدرجة التعليمية للأسر في هذه الشريحة، فجميع الحالات حصلت على الشهادة الجامعية، وظهرت مجموعة مهن تتفق مع طبيعة المنطقة التجارية التي يعيشون فيها فوجدت مهنة تجارة الأجهزة الكهربائية في الحالتين (١٤، ١٥)، ومهنة تاجر البضائع السودانية في الحالة رقم (١٦).

ومن الأمور المهمة التي لوحظت في إطار هذه الشريحة: أن هؤلاء الأفراد تمكنوا من الحصول على مسكن ملائم ولائق، كما تمكنوا من الحصول على مهنة تجارية قادرة على تأمين مستقبلهم ومستقبل أبنائهم؛ نتيجة انتمائهم إلى عائلات ممتدة، وعلاقات قرابية داخل الحارة، فعن الحالتين رقم (١٤، ١٥) فهم أبناء لأحد التجار الكبار في منطقة عابدين ويعملون في معرض للأجهزة الكهربائية الخاصة بوالدهم وتوارثوه أبًا عن جدٍّ وهو الأمر الذي جعلهم مستمرين في العيش داخل الحارة رغم اقتنائهم لمساكن في مناطق أخرى مثل "الهرم وفيصل".

"أنا وأخويا ورثنا المعرض، وعايشين هنا، وعندنا شقق في الهرم بس مش هنسيب بيتنا القديم في الحارة، علشان المعرض هنا وأكل عيشنا هنا"[١].

كما يضيف رب الأسرة في الحالة رقم (١٦) وهو من أصول سودانية أنه لولا وجود عائلته في المنطقة وامتلاكها لبيت العائلة ما تمكن من السكن داخل الحارة، وتأسيس التجارة الخاصة به؛ لأن الإيجار داخل الحارة للأفراد غير المصريين يكون مرتفعًا جدًّا يصل إلى ١٠٠٠٠جنيه شهريًّا وفي بعض الأحيان يصل أكثر من ذلك بصفة خاصة لكل من السوريين والسودانيين.

"أنا عايش مع أهلي في بيت العيلة هو بيت ملك وبنأجر لبعض بإيجار قليل عن بره، هنا في الحارة أول ما بيعرفوا إن المستأجر من جنسية سودانية أو سورية بيعلوا الإيجار بيوصل إلى أكثر من ١٠٠٠٠ آلاف جنيه شهريًّا في بعض الأماكن"[٢].

كما ظهرت أيضًا آليات تكيف بعض الحالات السورية مع ارتفاع إيجار الوحدات السكنية داخل الحارة فيما ذكرته هذه الحالة، معبرة بذلك عن آلية تكيف في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد داخل الحارة وهي آلية التضامن الاجتماعي بين الأصدقاء؛ للتغلب على الظروف المعيشية القاسية وارتفاع الأسعار.

"أنا مقدرش أدفع ٧٠٠٠ أو ١٠٠٠٠جنيه في الشهر علشان أسكن في شقة هنا كل اللي عملته إني خليت مراتي تقعد مع أهلها، وأنا قاعد مع صحابي هنا وبنقسم الإيجار مع بعض علشان أكون قريب من الشغل"[٣].

وعن الحالة الاجتماعية للأسر في هذه الشريحة فقد انتمت جميع الحالات من فئة متزوجين، ويمكن تجميع الخصائص الديموجرافية لحالات الدراسة في الجدول التالي:

رقم	بيانات رب الأسرة				بيانات ربة الأسرة				بيانات الأبناء المستفيدين من الحارة										الجنسية	عدد أفراد الأسرة	عدد حجرات المسكن	نوعية المسكن	الملكية	مصادر الدخل	إجمالي الدخل	ثبات الدخل	الشريحة
	السن	التعليم	المهنة	الحالة الاجتماعية	السن	التعليم	المهنة	الحالة الاجتماعية	النوع	السن	تعليم	النوع	السن	التعليم	النوع	السن	التعليم								
1	28	يقرأ ويكتب	بائع	متزوج	25	أمية	لا تعمل	متزوجة	ذكر	7	الصف الأول الابتدائي	–	–	–	--	–	–		4	3	إيجار	لا يوجد	عمل رب أسرة	1500	غير ثابت	دنيا
2	37	الشهادة الثانوية التجارية	بائع	متزوج	35	الشهادة الثانوية التجارية	لا تعمل	متزوجة	ذكر	14	الصف الثالث الإعدادي	–	–	–	–	–	–		3	2	إيجار	لا يوجد	عمل رب أسرة	1500	غير ثابت	دنيا
3	–	–	–	–	60	أمية	لا تعمل	أرملة	أنثى	20	شهادة متوسطة	–	–	–	–	–	–		5	2	إيجار	لا يوجد	عمل الابنة	2000	غير ثابت	دنيا
4	48	يقرأ ويكتب	لا يعمل	متزوج	41	أمية	عاملة في جمعية عماد الدين الشرعية	متزوجة	ذكر	14	الصف الثالث الإعدادي	أنثى	10	الصف السادس الابتدائي	–	–	–		4	2	إيجار	لا يوجد	عمل ربة الأسرة	1200	غير ثابت	دنيا
5	55	أمي	أرزقي	متزوج	49	أمية	عاملة في حضانة عماد الدين	متزوجة	ذكر	25	الشهادة الثانوية التجارية	أنثى	20	الشهادة الثانوية التجارية	أنثى	19	الشهادة الثانوية التجارية		5	2	إيجار	لا يوجد	عمل أرباب أسرة	1500	غير ثابت	دنيا
6	35	شهادة متوسطة	مشرف باص	متزوج	30	الشهادة الثانوية التجارية	مشرفة حضانة	متزوجة	–	–	–	–	–	–	–	–	–		2	3	إيجار	لا يوجد	عمل أرباب الأسرة	2000	غير ثابت	دنيا
7	25	الشهادة الثانوية التجارية	عامل كهربائي	متزوج	20	الشهادة الثانوية التجارية	لا تعمل	متزوجة	ذكر	4	–	–	–	–	–	–	–		4	3	إيجار	لا يوجد	عمل رب الأسرة	1700	غير ثابت	دنيا
8	90	الشهادة الابتدائية	ميكانيكي	أرمل	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–		4	3	إيجار	لا يوجد	مساعدات	1500	غير ثابت	دنيا
9	64	الشهادة الثانوية الصناعية	موظف معاش	متزوج	60	أمية	لا تعمل	متزوجة	ذكر	19	الشهادة الثانوية التجارية	–	–	–	–	–	–		6	2	إيجار	لا يوجد	معاش رب أسرة	4000	ثابت	متوسطة
10	60	أمي	ميكانيكي	متزوج	57	أمية	لا تعمل	متزوجة	ذكر	20	شهادة متوسطة	–	–	–	–	–	–		6	3	إيجار	لا يوجد	عمل رب الأسرة	3000	غير ثابت	متوسطة
11	40	دبلوم تمريض	سائق إسعاف	متزوج	38	دبلوم تمريض	ممرضة	متزوجة	ذكر	11	الصف السادس الابتدائي	ذكر	10	الصف الخامس الابتدائي	–	–	–		4	3	إيجار	لا يوجد	عمل أرباب الأسر	2700	ثابت	متوسطة
12	48	شهادة جامعية (بكالوريوس التجارة)	محاسب	متزوج	42	شهادة جامعية (بكالوريوس التجارة)	مدرسة	متزوجة	أنثى	12	الصف الثاني الإعدادي	أنثى	11	الصف السادس الابتدائي	–	–	–		4	3	إيجار	لا يوجد	عمل أرباب الأسر	5000	ثابت	متوسطة
13	30	شهادة جامعية (بكالوريوس سياحة وفنادق)	شيف مأكولات سورية	متزوج	27	شهادة جامعية (بكالوريوس سياحة وفنادق)	لا تعمل	متزوجة	أنثى	6	الصف الأول الابتدائي	أنثى	3	–	–	–	–	سوري	4	3	إيجار	لا يوجد	عمل رب الأسرة	5000	غير ثابت	متوسطة
14	45	شهادة جامعية (ليسانس حقوق)	يملك معرض أجهزة كهربائية	متزوج	40	شهادة جامعية (ليسانس الحقوق)	لا تعمل	متزوجة	ذكر	15	الصف الأول الثانوي	أنثى	14	الصف الثالث الإعدادي	–	–	–		4	3	تمليك	شقة + معرض أجهزة كهربائية + سيارة	عمل رب الأسرة	7000	غير ثابت	عليا
15	40	شهادة جامعية (بكالوريوس خدمة اجتماعية)	يملك معرض أجهزة كهربائية	متزوج	38	شهادة جامعية (بكالوريوس خدمة اجتماعية)	لا تعمل	متزوجة	أنثى	12	الصف الثاني الإعدادي	أنثى	9	الصف الرابع الابتدائي	–	–	–		4	3	تمليك	شقة + معرض أجهزة كهربائية + سيارة	عمل رب الأسرة	7000	غير ثابت	عليا
16	30	الشهادة الثانوية التجارية	تجارة بضائع	متزوج	28	الشهادة الثانوية التجارية	لا تعمل	متزوجة	أنثى	2	–	–	–	–	–	–	–	سوداني	3	3	تمليك	لا يوجد	عمل رب الأسرة	10000	غير ثابت	عليا

بالنظر إلى الخصائص الديموجرافية لحالات الدراسة جميعها في إطار الشرائح الاجتماعية الثلاث (دنيا، ووسطى، وعليا)، يمكن القول: إن الحالات عبرت عن تنوع ملحوظ في كافة المتغيرات الاجتماعية سواء المادية منها أو الاجتماعية.

ومن الأمور اللافتة للانتباه: ارتفاع متغير مؤشر السن عند غالبية حالات الدراسة. فقد اندرجت (٩) حالات من الأسر على مستوى الشرائح الاجتماعية الثلاث، تحت فئة عمرية هي من ٤٠ عامًا إلى ٩٠عامًا، وهي الحالات (٤، ٥، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥). وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على: أن الحارة المصرية أصبحت مسكنًا لكبار السن، ويفسر ذلك؛ بارتفاع نسبة الحراك المكاني من الحارة إلى خارجها. فقد أكدت غالبية الحالات أن معظم أبناء الحارة من الشباب وخاصة الذين حدثت لهم نقلة اقتصادية في الدخل، ومقبلين على مرحلة الزواج، فدائمًا وأبدًا يفضلون الخروج من الحارة والعيش في مناطق سكنية أفضل.

"أنا زمايلي كثير اتعلموا واشتغلوا شغلانات حلوة، واغتنوا ولما جم يتجوزوا راحوا في أماكن برة في أكتوبر أو في الهرم في شقق تمليك وأوسع"(٤).

عاشرًا- الوظائف الاجتماعية المعاصرة لحارة الشيخ ريحان:

١- الوظيفة الاقتصادية: يقصد بها كافة الخدمات الاقتصادية التي تقدمها الحارة للأسر، وقد بين العديد من الدراسات التي انطلقت من فكرة الوظيفة الاقتصادية للأماكن أن هذه الخدمات الاقتصادية لابد أن تقلل من ضعفهم وتقوي من مرونتهم إزاء الأوضاع المعيشية، وتحقق الاستدامة الاقتصادية الناتجة عن الاستخدام الأمثل للأصول والموارد المادية المتاحة في الحارة التي من شأنها أن تدعم استدامتها الذاتية، وتنعكس هذه الوظيفة الاقتصادية في مجموعة من المتغيرات:

أ- إقامة المشروعات الصغيرة في الحارة: أجمعت حالات الدراسة على عدم إقامة الدولة لأية مشروعات صغيرة بتمويل حكومي داخل الحارة رغم تسهيلات القروض التي تمنحها الدولة. كما أوضحت بعض الحالات أن المشروعات التجارية التي يقومون بها تم إنشاؤها بجهود ذاتية، ومن آراء الحالات في ذلك يقول رب الأسرة: "**مافيش مشروعات الدولة عملتها هنا، هي بتدي قروض للمحتاج، وبالنسبة للمشروع بتاعنا في المعرض ده أبويا هو اللي عمله بمجهوده، واحنا كملنا طريقه**"(٥).

ويضيف رب الأسرة -سوري الجنسية- في حالة أخرى: "**أنا لما جيت هنا ماكنتش عارف أشتغل إيه علشان أقدر أصرف على نفسي وأهلي، كان في اتجاهين أنا شاطر فيهم، إما اتجاه العقارات وده محتاج فلوس كتير، أو اتجاه الأكل، علشان كده اشتغلت في محل الأكل السوري ده، علشان كده جيت أسكن في منطقة حيوية يكون مشروع الأكل فيها ناجح**"(٦).

ب- فرص العمل المتاحة بشكل عام في الحارة: تمكنت الحارة من توفير بعض المهن الاقتصادية المتنوعة داخل أروقتها وحدودها المكانية فظهرت مهنة "البائع، ومشرف الباص، والعامل، والميكانيكي،

وسائق الإسعاف، وصاحب الأكلات السورية الشهية". ورغم ما يغلب عليها من الطابع المهني المتواضع، فإنها تمكنت من توفير فرص للعمل والاسترزاق والعيش للعاملين بها، ويُعد ذلك مؤشرًا من مؤشرات قوة المكان. فيقول أحد أرباب الأسر: "الورشة تحت البيت دي حاجة مريحة، من غير مواصلات وكمان أنا في سني ده مقدرش على الخروج بره الحارة ده أنا أموت"[٧].وتضيف إحدى ربات الأسر:"**أنا بشتغل هنا في الجمعية الشرعية، وده بيوفر في الوقت والمواصلات، وخمس دقايق بالضبط وأكون في البيت وسط ولادي**"[٨].

لكن هناك ملمح آخر لهذه القضية وهو الارتباط العضوي بين الحارة كنسق مكاني اجتماعي شعبي وتدني الأوضاع الاقتصادية والمهنية لغالبية ساكنيها كما أكدت الدراسات السابقة، فمن تمكن من تغيير الوضع الاقتصادي الاجتماعي من سكان الحارة الأصليين تمكن تلقائيًّا من القيام بعملية حراك اجتماعي مكاني. فتقول إحدى ربات الأسر:" **أنا جارتي جوزها ربنا فتح عليه جامد في الشغل وكمان ورث من أبيه، أول حاجة عملوها عزلوا من هنا**"[٩]. الأمر الذي يدل على تأثر الحارة بعمليات الحراك المكاني.

كما بينت آراء الحالات أيضًا أن الحارة تمكنت من توفير فرص عمل ليس للسكان الأصليين حاملي الجنسية المصرية فحسب؛ بل تمكنت من توفيرها لغير المصريين فتبين ظهور الشباب السوري للعمل في محل الأكلات السورية، وكما ظهر تاجر البضائع السودانية، وعند سؤالهم عن تمسكهم بالحارة والسكن فيها رغم ارتفاع إيجار السكن بصورة مبالغ فيها قالوا: "**الحارة هنا موقع متميز قريبة من وسط البلد والتجارة هنا وهناك حيوية**"[١٠]. "**أنا قعدت هنا لأن الأكل السوري هنا ليه شعبية كبيرة والمنطقة كلها محلات وورش وصنايعية فمشروع الأكل هيمشي بنجاح**"[١١].

ج- الأسواق: لأن الأسواق هي المساحة التي تحدث فيها العمليات التجارية وكافة الأنشطة الاقتصادية عن طريق وجود اجتماع بين الأفراد والتجار في مكان واحد، فمن البديهي أن تتيح هذه المساحة كل احتياجات الأسر وبأسعار لائقة، لكن وجد أن الأسواق القريبة من حارة الشيخ ريحان؛ مثل: سوق الإثنين، وسوق باب اللوق، وسوق سعد زغلول تلبي احتياجات ساكنيها بأسعار مرتفعة، فقد أجمعت حالات الدراسة أن الأسواق متاحة وقريبة ومليئة بالبضائع والمنتجات والسلع، لكن يعيبها أنها مرتفعة الأسعار ويعللون سبب ذلك بانتشار التجار في المنطقة فضلًا عن وجود السودانيين والسوريين، ومن أمثلة آرائهم: تقول إحدى ربات الأسر من الشريحة الدنيا: "**أنا بشتري حاجتي بالأسبوع من بولاق الدكرور السوق هناك أسعاره أرخص، هنا كل حاجة متاحة في سوق الاثنين أو سوق سعد زغلول، وعندك باب اللوق كمان بس أسعار غالية**"[١٢].وتؤكد على المعنى ذاته إحدى ربات الأسر من الشريحة العليا فلم يمنع انتماؤها إلى الشريحة العليا من البحث عن سوق بديل للأسواق مرتفعة الأسعار فتقول: "**الأسواق هنا كويسة وقريبة ونظيفة وفيها كل حاجة بس غالية أوى؛ علشان بيرفعوا السعر على التجار السودانيين والسوريين معرفش ليه بيزودوا عليهم أوي كده**

أنا بشتري حاجتي لما بنروح شقتنا إللي في الهرم؛ الأسواق هناك حلوة ورخيصة وفي فيصل كمان"[١٣].

إن قدرة المكان على استثمار كافة المؤشرات الدالة على وظيفته الاقتصادية من أهم مؤشرات قوته الذاتية وقدرته على الاستمرار والاستدامة، وبتطبيق ذلك على حارة الشيخ ريحان كنموذج للحارة المصرية، وجد أن الحارة قد تمسكت ببعض مؤشرات اقتصادية دلت على أنها قادرة على ممارسة وظيفتها الاقتصادية في ظل التغيرات المعاصرة، وفي ظل تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المنتشرة بين ساكنيها. ففي ظل ما تتعرض له من موجات شديدة من الحراك المكاني والانتقال السكاني منها فقد استطاعت أن تتيح بعض المهن سواء لسكانها الأصليين أو لجنسيات أخرى وافدة إليها ومن شرائح اجتماعية متعددة، وهذا الأمر له وجاهته، حيث يدل على المرونة والدينامية الاقتصادية للحارة ومحاولتها المستمرة في إيجاد ديناميات الاستدامة التي تتناسب مع طبيعة وأوضاع الأفراد بداخلها، وأن الحارة ليست بمعزل عن التغيرات التي تحدث في المجتمع من حولها؛ حيث أتاحت مكانًا آمنًا لجنسيات متعددة؛ أهمها: السودانيون والسوريون وكانت بمثابة البديل الاقتصادي الآمن الذي فقد في دولهم. كما يدل ذلك أيضًا على قدرة الحارة على تحقيق العدالة المكانية بين كل سكانها إذ سمحت للجميع للاستفادة منها.

٢- الوظيفة الثقافية: تتمثل في كافة المنتجات الثقافية التي ينتجها الإنسان وتعبر عن حياته وتفاعلاته كما أشار "زيمل" داخل حدوده المكانية، وفي ضوء ذلك حاولت الدراسة التعرف على قدرة الحارة على ممارسة دورها الثقافي ومساعدة سكانها على إقامة الممارسات الثقافية المختلفة من خلال عدة مؤشرات؛ هي:

أ- الحارة كملتقى بين الأجيال: بسؤال الأسر عن وجود شخصيات كبيرة في السن تمارس دورًا قياديًّا في الحارة، ويلتف حولها الصغير والكبير؛ للاستفادة من خبراتها وتجاربها الحياتية، أو للرجوع إليها في الأزمات والاستماع إلى رأيها والأخذ بحكمها في المواقف المتنوعة. أجمعت غالبيتها على أن مثل هذه الشخصيات المتمثلة في "شيخ الحارة" أو "عمدة الحارة" لم يعد لها وجود مثلما كان يحدث في الحارة قديمًا. حتى وإن وجدت لم تلق من الأجيال الحالية التقدير والاحترام الكافي كما أن هذه الأجيال لا تلزم نفسها بأحكام وآراء هذه الشخصيات، فقد فقدت شرعيتها ووظيفتها كضابط اجتماعي غير رسمي، ومن أمثلة آرائهم: يقول رب الأسرة: **"كان زمان الناس الكبيرة دي كانت موجودة وكان بيتعمل لها ألف حساب، وكلمتها متنزلش الأرض لكن دلوقتي الزمن اتغير وكل واحد بيتصرف على كيفه حتى ولو لاقينا حد كبير محدش بيسمع كلامهم"**[١٤].

وتضيف ربة الأسرة: **"كان زمان بنقول اللي مالوش كبير بنشتري له كبير، دلوقتي كل واحد كبير نفسه، ومحدش عاوز يستفيد من خبرة غيره ولا حد عاوز يسمع إلا صوت دماغه"** [١٥].

في حين أن حالتين فقط أشارتا إلى وجود شخصيات عامة بارزة في حياتهم، ولها القدرة على

التأثير على الآخرين، فيقول رب الأسرة في الحالة الأولى:

"آه طبعًا في ناس كبيرة أنا بحب أقعد معاهم وأسمع تاريخ الحارة وتاريخ القاهرة، والحكايات، والقصص اللي موجودة هنا أنا أصلاً بحب التاريخ، زي عم "نبيل العسر" ده راجل عايش من أيام الملك فاروق ميكانيكي، وهو اللي غير لون عربية الملك للون الأحمر، وبنسمع منه أحلى قصص عن حارة البلاقسة اللي سكانها من الحبشة وأصول عائلتهم من حاشية الملك، وكمان في الحاج "صالح" أنا شايف إنه كبير المنطقة هنا راجل كبارة وأنا بحب أقعد معاه"[١٦]. وتضيف ربة الأسرة في الحالة الثانية: **"كان في واحدة ست شخصيتها قوية وكان كل الناس بتسمع كلامها بس مش في حارة الشيخ ريحان في حارة البلقسة كان اسمها "سيدة"، وكانت محبوبة أوي وتقف في الأزمات أكثر من الرجالة بس توفت وما ظهرش حد زيها"**[١٧].

وبسؤال جيل الأبناء عن رأيهم في مثل هذه الشخصيات، وعن استعدادهم للاستماع إليهم والأخذ بآرائهم في بعض المواقف الحياتية جاءت الإجابة بالنفي لوجود مثل هذه الشخصيات بدعوى أنهم لا يفضلون الأخذ بالمشورة إلا من والديهم؛ ولضيق الوقت ولعدم الرغبة في الاختلاط بأفراد خارج حدود أسرتهم الصغيرة، هذا فضلاً عن توافر المعلومات التي يحتاجها أي شخص منهم عن أي موضوع على شبكات الإنترنت، ومن أمثلة الآراء في ذلك:

يقول أحد الأبناء **"أنا مش بحب آخذ رأي حد في أي حاجة، في حياتي إلا رأي أبويا وأخويا، وبعدين أنا مش فاضي علشان أنزل أقعد مع حد أو أسمع منه حكايات كل حاجة عاوز أعرفها موجودة على الإنترنت"**[١٨].وتضيف إحدى الفتيات: **"أنا مش بكون فاضية، أنا بروح الشغل وارجع منه محتاجة أنام، ولما بكون عاوزةآخذ رأي حد باخد رأي أمي، ولو عاوزة معلومات قديمة عن الحي أو الحارة أو التاريخ بعمل سيرش عن كل حاجة"**[١٩].

ب- الحارة كمكان للترفيه والتسلية: أجمعت حالات الدراسة على اختلاف انتمائها الطبقي على أن الحارة لا تتيح مكانًا للترفيه والتسلية إلا في بعض المناسبات؛ مثل: شهر رمضان الكريم، أو لبعض الفئات؛ مثل: فئة كبار السن، وذلك لعدة أسباب أهمها:

• **ظهور أماكن جديدة للتسلية يتردد عليها الكبار والصغار:** تتمثل في أماكن " السايبر والبلاي ستيشن "Play station , cyber"، فيقول رب الأسرة: **"أنا الكبير أهو في وقت فراغي بروح ألعب على البلاي ستيشن مبقاش في لعب كورة ولا تجمع زي زمان ممكن نتجمع في شهر رمضان بعد صلاة التراويح"**[٢٠]. وتقول ربة الأسرة: **"العيال مش بتلعب زي زمان في الشارع، على طول قاعدين على البلاي ستيشن في المحل. اللي بيقعد في الحارة دلوقتي هما الناس الكبيرة في السن بيكونوا زهقانين وبيعقدوا شوية أودام البيت ومش على طول"**[٢١]، **ويقول الابن: أنا مش بحب ألعب في الحارة أنا باستمتع أكثر في البلاي ستيشن"**[٢٢].**وتضيف الابنة: "أنا مش بعرف أروح البلاي ستيشن كتير علشان كله ولاد بس مش بحب أنزل الحارة ولا أقعد فيها ولا أختلط بحد"**[٢٣].

• **ظهور آليات جديدة للاستمتاع والترفيه:** تجسدت في ألعاب الموبايل، وبرامج WhatsApp، و Facebook والإنستجرام والتيك توك وغيرها من التطبيقات الحديثة، ونجحت مثل هذه البرامج في استقطاب الحالات؛ للاستمتاع والترفيه من خلالها في إطار من العزلة الاجتماعية، واحتلت بذلك محل الألعاب التقليدية التي كانت سائدة قديمًا في الحارة المصرية، مثل : لعبة "الأولى، وعسكر وحرامية، واستغماية، وكرة القدم" وغيرها من الألعاب التي كانت تحمل الكثير من القيم الاجتماعية كاللعب في فريق، والمبادأة، والقدرة على التواصل الاجتماعي، وإثبات الذات والثقة في النفس. وفي ذلك يقول رب الأسرة: "مافيش تجمعات في الحارة كل واحد قاعد في بيته على موبايله وخلاص والحياة كلها على الفيس بوك. ده حتى العيال الصغيرة مبقوش ينزلوا يلعبوا كل واحد ماسك موبايله"(٢٤).وتضيف ربة الأسرة: "أنا بتحايل على الواد ينزل يلعب خايفة يجيله توحد من كتر القعدة لوحده طول النهار على التليفون بيتفرج على التيك توك ويقلد، ولما ناخذ منه التليفون يصوت"(٢٥).وتؤكد أسرة أخرى على المعنى ذاته فيقول الأب: "دلوقتي كل الناس تعبانة في شغلها مبقاش حد فاضي ينزل ولا يقعد مع حد ولا في وقت. بنقعد على التليفون لحد ما ننام"(٢٦).وتضيف الأم:" الموبايلات سحابة العيال معذورة ده لو نزلوا الحارة شوية بيكونوا قاعدين مع بعض وكل واحد ماسك موبايله"(٢٧).وتضيف الابنة: "أنا بحب أقعد أتفرج على التيك توك والإنستجرام، بحس بالمتعة أكثر عن أي حاجة تانية"(٢٨).وتضيف أختها: "أنزل ألعب فين في الحارة. ليه؟ أنا بحب القعدة على موبايلي أحسن وأتفرج على الممثلين وصورهم على الإنستجرام والفيس بوك ونفسي أبقى زيهم وأعيش زيهم"(٢٩).

هكذا طغت العولمة ببعض آلياتها؛ مثل: شبكات الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات، والألعاب الإلكترونية، وبعض التطبيقات؛ مثل: الفيس بوك، والتيك توك والإنستجرام وغيرها على بعض أدوار الحارة الترفيهية.

• **التردد على الأندية:** اقتصر هذا المؤشر على الأسر من الشريحة العليا، فقد ظهر التردد على الأندية كأحد وسائل الترفيه والتسلية وقضاء وقت الفراغ وممارسة الألعاب الرياضية كبديل عن الحارة؛ فالحارة من وجهة نظرهم لم تعد قادرة على إشباع هذه الاحتياجات أو تقديم مثل هذه الخدمات. فيقول رب الأسرة: "لا أنا ولا ولدي بننزل نقعد في الحارة، بنروح النادي، إحنا أعضاء في نادي وادي دجلة هناك بنقضي الأجازة أو أي وقت فاضي"(٣٠). وتقول ربه الأسرة: "مش بننزل بنروح النادي أحسن وأنضف وبنقعد مع صحابنا، وبنروح الجيم وبننزل البسين، ده أحسن بكتير من القعدة في الحارة"(٣١). وتضيف الابنة:"بحب أروح النادي أنزل البسين أحسن من لعب الحارة"(٣٢)، وتزيد الأخرى: "النادي أحسن وبعمل فيه كل حاجة بحبها وبروح ألعب في منطقة الألعاب"(٣٣).

• **المخاطر المستحدثة:** لم تكن الحارة بمعزل عن التغيرات المجتمعية والعالمية التي تحدث خارج حدودها، ولا بمعزل عن المخاطر المستحدثة التي اجتاحت المجتمعات المختلفة الأمر الذي أثر على أدائها لوظائفها المختلفة وعلى وظيفتها الترفيهية، فأصبح تعرض الأطفال لعمليات الخطف والسرقة لتجارة

الأعضاء من المخاوف التي حرمتهم من الاستمتاع بالحارة كمكان ترفيهي نظرًا لرفض الآباء أن يوجدوا في الحارة مبررين ذلك بارتفاع نسبة حوادث الخطف وتجارة الأعضاء، على عكس ما قد كان سائدًا قديمًا من الإحساس بالأمان والطمأنينة. فيقول رب الأسرة:"مبقاش فيه أمان خالص، إحنا في زمن يخوّف دلوقتي في سرقة أعضاء، وخطف أطفال، مين يآمن على ولاده ينزلوا ويلعبوا"[٣٤]. ويضيف آخر:" "أنا بخاف أسيب العيال في الحارة عيني لازم تبقى عليهم طول الوقت، أو لازم أمهم تبقى معاهم دلوقتي على طول حوادث وخطف"[٣٥].وتقول ربة الأسرة: "أنا بخاف على العيال من الخطف وسرقة الأعضاء"[٣٦].

جـ- الحارة والتبادل الثقافي: جعل موقع حارة "الشيخ ريحان" المتميز بالقرب من وسط البلد وبالقرب من قصر عابدين منها بوتقة لانصهار العديد من الجنسيات ووجودها في الحارة، نتيجة الرغبة في الحصول على المنافع التجارية والاقتصادية، ومن ثم حدوث التبادل الثقافي والاجتماعي بين ساكنيها، وقدرة الحارة على استيعاب العديد من الجنسيات بثقافاتهم المتعددة لم تكن وليد اللحظة الحالية كما ظهرت في الدراسات السابقة خاصة منها التي تناولت أعمال "نجيب محفوظ" فلها بُعد تاريخي مهم ظهر في آراء الحالات، ومن أمثلة هذه الآراء يقول أحد أرباب الأسر :"الحارة اتملت سودانيين وسوريين وده مش جديد على المكان هنا، الجنسيات كتير من أيام الملك كانت الحاشية ساكنة هنا حوالين القصر فكان فيه السفرجية والبوابين وكانوا من أصول سودانية وحبشية وكانوا ناس أمناء، وكان هنا في المنطقة مكان اسمه البيت الأبيض كان تبع الكنيسة القبطية بيسكن فيه الناس الفقيرة في حارة "سليم" وفي الحارات المجاورة المتفرعة من شارع الشيخ ريحان الرئيسي، والتكية دي كانت عبارة عن مكان بيسكن فيه كل المغتربين ويأكلوا ويشربوا، وبيخدمهم الناس الدراويش، وبمرور الوقت بقى مكان بيسكن فيه الفقراء بس، وطول عمرنا عايشين وسط ناس من أصول مختلفة وعايشين كويس، وهما بياخدوا من ثقافتنا واحنا بناخد منهم، الشعب المصري شعب مالوش كتالوج زي ما بيقولوا"[٣٧]، يضيف آخر: "الحارة هنا أنا بحسها جامعة دول عربية سوريين على سودانيين، ومن زمان كمان وأكراد، وناس من الحبشة، حارة البلقسة كمان مليانة ناس وعائلات من الحبشة كانوا بيحرسوا الملك، وإحنا طول عمرنا عايشين مع بعض، المحل أودامك أهو أكلات سورية، والسودانيين بيتاجروا أي نعم وجودهم مغلي الشقق ومغلي أسعار الأسواق، بس عمرنا ما اتضايقنا من وجودهم وبنحبهم وبيحبونا"[٣٨]. ويزيد رب أسرة أخرى: "المكان كله كان قصر، وكان المنطقة كلها باشاوات، من أجناس مختلفة، واللي بيسكن حوالين القصر، كل الجنسيات اللي بتشتغل في القصر علشان كده في جنسيات كتيرة"[٣٩].

في ضوء ماسبق تبين أن مؤشرات الوظيفة الثقافية للحارة كما أكدت نظرية "زيمل": أن الشكل المادي أو الموقع الجغرافي لا يصبح مكانًا إلا من خلال إضفاء معنى عليه، وعلى الظواهر الاجتماعية التي تتشكل بداخله، وأن هذا المعنى، وهذه الظواهر قد تتغير بتغير الزمان؛ فالأشكال الثقافية تدخل في صراع مع العمليات الجارية المستحدثة والمعاصرة في الحياة، وهو ما يفسر فقدان الحارة لبعض

مؤشرات وظيفتها الثقافية؛ مثل: كونها ملتقى ثقافي بين الأجيال، وكونها مكانًا للترفيه والتسلية، وإحلال بعض التكنولوجيا وبرامجها المتنوعة والأماكن الأخرى؛ مثل: الأندية مكانها، وتمسكها ببعضها الآخر، مثل قدرتها على التبادل الثقافي بين جنسيات متعددة ومتنوعة من أجل الديمومة والاستمرار.

٢- الوظيفة الدينية: تتجسد مؤشراتها في توافر أماكن العبادة أو الرموز الدينية، وانتشرت أماكن العبادة بصورة كبيرة داخل حي عابدين بأكمله وليس بداخل الحارة فقط، فوجدت المساجد مثل: مسجد الشيخ عبد الله ومسجد المدبولي، ومسجد الطباخ. والكنائس؛ مثل: كنيسة سان جوزيف، وكنيسة رئيس الملائكة غبريال. ولاشك في أن سكان الحارة يترددون عليها لممارسة شعائرهم الدينية؛ أما عن الرموز الدينية: فتتبلور في ضريح الشيخ ريحان رغم ضيق مساحتها عن غيرها من الحارات بوجود ضريح الشيخ ريحان الذي نسجت حوله العديد من القصص والروايات؛ ليعبر في النهاية عن أهم مؤشرات قوة الحارة الدينية كنسق مكاني، ويُعد ضريح الشيخ ريحان من الأضرحة المقدسة لدى سكان الحارة، ومن الأماكن المهمة التي يترددون عليها؛ للتبرك والتماس الشفاء، وخاصة لاحتواء المكان على بئر من المياه المتجددة التي استخدمتها نساء الحارة في العلاج وخاصة علاج الأطفال، وروي العديد من القصص فيما يتعلق بالضريح وبئر المياه تعكس ما له من مكانة عالية في نفوس سكان الحارة، متمنين من وزارة الأوقاف أن تسمح لهم بفتح الضريح لزيارته، وبسؤال الحالات عن علاقتها بمكان الضريح كأحد الرموز الدينية في الحارة، انقسموا إلى فريقين، الفريق الأول: واشتمل على غالبية حالات الدراسة وهو فريق يقدس المكان ويتبرك بزيارته، ومن أمثلة آرائهم في ذلك:

يقول رب الأسرة: "أنا أصلا ذو خلفية صوفية، ومن كتر حبي في المقام سألت وقرأت عنه إنه من أولياء الله الصالحين من القرون الأولى في الفتح الإسلامي، ونسبه شريف"[٤٠].وتزيد ربة الأسرة: "لما كان الضريح مفتوح كنا بنزوره وبنقرأ له الفاتحة، وكان كمان فيه بير ميه كان لما حد بيعيا كنا بنحميه من الميه كان يفوق في ساعتها، يا ريت الوزارة ترجع تفتحه تاني"[٤١]. ويقول الابن: "أنا لما بعدي بقرأ الفاتحة من بره بعمل زي بابا ما بيعمل"[٤٢].

ويضيف رب أسرة أخرى: "الواحد بيفتخر إنه ساكن جنب الشيخ ريحان علشان المكان معروف ومشهور وكان دايمًا وهو مفتوح كان في ناس زوار كتير بتيجي"[٤٣]. وتزيد ربة أسرة: "طول عمرنا وهو مفتوح كنا ناخد العيال وهي صغيرة، العيان والمزوق والمسروع ونحميه في البير يخف على طول، وكان اللي قاعد فيه عم عزت الله يرحمه، وزوجته، وكان بيقول إنه من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنه وارث الأرض بتاعت الضريح وفضل عايش مع الشيخ ريحان لحد ما مات ودلوقتي الضريح مقفول في واحد بييجي كل فترة يكنسه ويمشي، الأوقاف هي اللي معيناه"[٤٤]. وعن أحد الأبناء يقول: "لما بابا وماما بيروحوا بروح معاهم"[٤٥]. ويزيد رب أسرة أخرى: "الشيخ ريحان له كرامات من زمان غير قصة بير الميه اللي بيتعالجوا فيه، ده كان بيروح مكة في موسم الحج ويرجع تاني في نفس اليوم، ولما كراماته انكشفت دعا ربنا إنه زي ما أظهر كراماته ياخدها، وفعلا مات بعدها علشان مش

عاوز حد يعرف عن كراماته حاجة، هما الأولياء كده ميحبوش سرهم يتعرف علشان ما يتكبروش على حد بكراماتهم"[٤٦]. وتزيد ربة أسرة أخرى: "كل ما أعدي من أودامه أقرأ له الفاتحة ونفسي الوزارة تفتحه زي زمان، ده كان جوه فيه ساحة للقعاد جنب البير بس اتقفل"[٤٧].وعلى المعنى ذاته تؤكد الابنة: "طول عمر بابا بيحكلنا عن كرامات الشيخ ريحان، ومن كثرة حبه فيه أنا كمان بقيت أحبه"[٤٨].

أما الفريق الثاني: اشتمل على حالة واحدة فقط من الأسر ورأت أن التردد على مثل هذه الأماكن نوع من الشرك فالتماس البركة أو الشفاء من غير الله -عز وجل- يعد شركًا خفيًّا، فيقول رب الأسرة: "مش بحب أروح المكان ده بعتبره شرك مافيش بيني وبين الله وسيلة أو واسطة، وقال ربكم ادعوني أستجب لكم صدق الله العظيم، الشفاء بإيد ربنا بس"[٤٩].وتضيف ربة أسرة أخرى :" "أنا كنت بروح عادي، بس جوزي خوفني قالي كده كفر بالله، فبقيت أقلل مرواح، بس ممكن أقرأ له الفاتحة"[٥٠].

بالنظر إلى الوظيفة الدينية للحارة نجدها تمكنت من توفير أحد الأشكال التوافقية التي تكون الإطار العام الذي يحدث ضمن عملية التنشئة الاجتماعية على قيم دينية بعينها والأشكال المتصفة بالديمومة؛ وذلك لارتباطها بمؤسسات بنيوية مستمرة ودائمة كالرموز الدينية المختلفة للتفاعل الاجتماعي بين سكان الحارة ومكان الضريح كرمز ديني، الأمر الذي لم يعبر عن قوتها المكانية أو رغبتها في الاستمرار من خلال التأثير على الآخرين وتشكيل ثقافتهم وهويتهم فحسب، وإنما عبر أيضًا كما أشار "زيمل" عن تفردها وتميزها المكاني.

٣- الوظيفة الأمنية: انقسمت الوظيفة الأمنية إلى نوعين، هما:

أ- الأمن الرسمي: هو الأمن الذي توفره الأجهزة والمؤسسات الرسمية المتمثلة في رئاسة حي عابدين، وأقسام الشرطة وغيرها من المؤسسات تحت إشراف الدولة، وأشادت الحالات بالمجهود الأمني المكثف لرئاسة حي عابدين، ووجود الحملات الأمنية في المنطقة، وطالبت بضرورة زيادة هذه الحملات وخاصة ليلًا وعدم تركيزها على إزالة إشغالات الطريق؛ نظرًا لوجود بعض الشباب الذين يتجمعون ليلًا لتعاطي المخدرات الأمر الذي يزعج أهالي الحارة كثيرًا. فيقول رب أسرة: "الحارة أمان بالنهار، ورئيس الحي مهتم بالحارات كلها في منطقة عابدين لكن بالليل الحارة بيبدأ يظهر بقى شباب بتوع المخدرات، دول وباء وملا البلد كلها"[٥١].وتضيف ربة أسرة: "بالليل من بدري من ٩-١٠كده الحارة بتبقى ساكتة وعلى بالليل أوي ساعات بيكون فيه شباب بيتلموا بيشربوا مخدرات ومدمنين"[٥٢].وتضيف الابنة: "أنا مش بانزل بالليل خالص، بخاف من الشارع بالليل بيكون هس هس، وشباب ومعاكسات"[٥٣].

ويضيف رب أسرة أخرى: "الحي هنا بيعمل حملات بس على القهاوي على الإشغالات في الطريق، لكن بالليل بيكون كله مقفل إلا لو المحلات مفتوحة غير كده كله في بيته مبقاش في قعدة زي زمان"[٥٤].

وتضيف ربة أسرة أخرى: "مش بنزل بالليل، بنجيب حاجتنا كلها الصبح في الأمان والدنيا نهار، أما بالليل بقى كله قاعد في بيته"[٥٥].

ب- الأمن غير الرسمي: يعبر عن الأمن الذي يحققه الأفراد داخل الحارة بأنفسهم دون الرجوع

إلى المؤسسات الرسمية، وأجمعت حالات الدراسة على اختلاف شرائحها الاجتماعية على أن جميعهم يشعرون بالأمن والأمان داخل الحارة، ويرجع السبب في ذلك إلى عدّ الشعور بالأمن أحد الأهداف المشتركة التي يسعى الأفراد إلى تحقيقها من خلال تفاعلهم مع بعضهم بعضًا في ضوء القرب المكاني، ومن أمثلة آرائهم: يقول رب أسرة: "الأمان موجود هنا في الناس إحنا ساكنين من زمان وكلنا عارفين بعضنا، لو سمعنا أي صوت بنجري نشوف فيه إيه"(٥٦).وتزيد ربة أسرة: "لو حد عنده مشكلة كل الناس بتتلم وتتدخل وتحلها، وتحوش في الخناقات علشان ما يجراش مصيبة كل الناس هنا إخواتنا وعيالنا ونخاف عليهم"(٥٧).ويضيف الابن: "كلنا هناعارفين بعض وبناخد بالنا من بعض ولو لاقينا حاجة واقعة على الأرض بنرجعها لصاحبها ولو في خناقة نحوش لحد ما نخلصها"(٥٨).

ومن أبرز المواقف المعبرة عما يسود بين سكان الحارة من حالة أمنية يصنعونها بأنفسهم موقف تشكيل اللجان الشعبية في أثناء حدوث ثورة يناير ٢٠١١ للحفاظ على الأرواح والممتلكات، وهو ما سيتم تناوله بالتفصيل في الوظيفة السياسية للحارة.

٤- الوظيفة السياسية: يرى "غيدينز" أن المكان يقسم إلى مناطق وفقًا للممارسات الاجتماعية المتكررة، وتعد الممارسات السياسية من الظواهر الأكثر ارتباطًا بحارة الشيخ ريحان، والأكثر تكرارًا بصورة تعكس حالة من الزخم في الفعل والنشاطية السياسية المتفردة في هذا المكان فرضها عليه موقعها في قلب مدينة القاهرة، بالقرب من أكثر ميادينها انخراطًا في الأحداث السياسية التاريخية والمعاصرة، وهما: ميدان التحرير وميدان قصر عابدين. فكان لهذا المكان دور كبير خلال أحداث ثورة عرابي؛ لقربه من قصر عابدين، وكان له دور أيضًا في ثورة يناير ٢٠١١؛ لقربه من ميدان التحرير حيث كان هو الرمز الأكثر فاعلية خلال هذه الثورة. وبطبيعة الحال أثرت كل هذه الأحداث على سكان الحارة بصورة أو بأخرى، فقد توصلت الدراسة إلى: أن أهالي الحارة كان لهم دور في المشاركة السياسية في أحداث ثورة يناير بحكم قرب الحيز المكاني من قلب الحدث، وفي ذلك يقولون : "إحنا أيام الثورة وخاصة أول كام يوم كنا بنزل وبنشارك وبنمشي في المظاهرات علشان كل الشعب كان تعبان وبيعاني كنا عاوزين نخلي البلد تبقى أحسن"(٥٩). وتضيف ربة أسرة: "كنا بننزل لحد يوم جمعة الغضب بعدها خفت وخفت على أهلي"(٦٠). ويضيف رب أسرة أخرى: "إحنا كنا عايشين الأحداث لحظة بلحظة كانت أيام صعبة، نزلنا كلنا علشان العيش والحرية والعدالة الاجتماعية، وما خدناش حاجة غير وجع القلب وغلاء الأسعار، واعتقالات"(٦١). وتضيف ربة أسرة: "كلنا شاركنا كان عندنا حلم، بس ما اتحققش"(٦٢). وعن جيل الأبناء في هذه الأسرة: "شاركنا طبعًا ونزلنا كمان يوم التفويض"(٦٣).

ويضيف رب الأسرة في حالة أخرى: "نزلنا وشاركنا ولما البلطجية انتشروا عملنا لجان شعبية وحافظنا على بيوتنا"(٦٤). وتضيف ربة أسرة: "كلنا اشترينا أعلام وفرحنا ونزلنا بس بعد كده لما الشباب مات والبلد اتقسمت لإخوان وغير إخوان الدنيا اسودت في عيني، وقلت البلد دي مش هتقوم تاني، بس ربنا ستر"(٦٥). ويزيد الابن: "نزلت أنا وأختي وكلنا خايفين بس كنا فرحانين بالأعلام أنا

كنت صغير ماكنتش فاهم حاجة أوي الصراحة"[٦٦].

لم يقف الفعل السياسي داخل هذا الحيز المكاني عند مشاركة أهالي الحارة في أحداث ثورات القاهرة قديمًا وحديثًا، وإنما ظهر مرة أخرى في فترات الانتخابات وخاصة في انتخابات مجلس الشعب؛ حيث يتردد العديد من النواب على أهالي الحارة؛ لإغداق الهدايا والتبرعات والمساعدات عليهم من أجل حصد أصواتهم الانتخابية، وبسؤال الحالات عن مشاركتهم في الانتخابات فكانت الحالات من الذكور (أرباب الأسر) هم الأكثر مشاركة في الانتخابات من الإناث (ربات الأسر)، ومن أمثلة آرائهم يقول رب أسرة: "بروح الانتخابات علشان أكون متابع الوضع السياسي، ونختار حد كويس يعبر عننا"[٦٧].

ويقول آخر: "لازم نشارك علشان نختار حد يمثلنا جوه البرلمان"[٦٨]. وعن أسباب رفض الإناث للمشاركة فجاءت آرائهم مؤكدة على أن النواب يظهرون في فترة الانتخابات فقط ويقدمون المساعدات والتبرعات ثم لا يقدمون حلولاً فعلية للمشكلات التي تعاني منها المنطقة. من أمثلة آرائهن: "كله في الأول بيكون كويس ويجيب تبرعات ويوزعوا حاجات وبعدين يختفوا"[٦٩]. "وبمجرد ما يقعدوا على الكرسي بينسونا، أروح ليه وأتعب نفسي"[٧٠].

تدل الممارسات السياسية لسكان الحارة، أنهم على وعي بالقضايا السياسية المجتمعية بصورة تكشف عن عدم وجود أية عزلة مكانية للحارة عن مجريات الأحداث السياسية في المجتمع المصري، وتؤكد أيضًا على الكيفية التي تظهر بها الأماكن كآلية لدراسة عمليات تشكيل الهويات السياسية والثقافية وتأكيدها والتعبير عنها في ضوء ربطها بكافة التغيرات والتحولات الاجتماعية والثقافية كما جاء في الدراسات السابقة.

٥- الوظيفة الإيكولوجية: بينت الدراسات السابقة أن هناك علاقة طردية بين الجودة الإيكولوجية للأماكن وإقبال الأفراد على السكن فيها، وتعد إيكولوجيا حارة "الشيخ ريحان" إيكولوجيا متفردة لعدة أسباب؛ منها: أن هذه الحارة مسيجة بخليط إيكولوجي عجيب ونادر من المتناقضات قلما يوجد في أي مكان في العالم، حيث يجمع بين بذخ وضخامة ورقي واتساع القصور والمنشآت الملكية وضيق وازدحام المحلات والدور ومساكن البسطاء. وأن هذه الحارة كما لوحظ تتمتع بمستوى إيكولوجي لائق يعبر عن الجودة الوظيفية لبيئة الحارة، تجسد ذلك في عدة مؤشرات من بينها:

اهتمام رئاسة الحي بالبنية التحتية للمباني، ونظافة الحارة بصورة مستمرة، ورصف الطرق، والاهتمام بالأشجار وتقليمها، والاهتمام بشبكات الصرف الصحي. هذا؛ فضلاً عن الإعلان عن مبادرة وطنية للمشروعات الخضراء الذكية، التي تستهدف المشروعات المراعية لمعايير الاستدامة البيئية بالحارة، وبسؤال الحالات عن مدى رضاهم عن المستوى الإيكولوجي للحارة، أجمعت على أنهم يشعرون بالرضا عنه فيما عدا بعدًا واحدًا ألا وهو: ضيق وصغر مساحة الوحدات السكنية، معبرين عن ذلك بأنه لو وجد سبب يدفعهم للانتقال من الحارة إلى السكن في مكان آخر لكان هو البحث عن وحدات سكنية أكبر في المساحة. وقد ظهر ذلك جليًّا لدى الشريحة العليا من الأسر؛ حيث إنهم رغم ما يمتلكون من وحدات

سكنية في الحارة قاموا باقتناء وحدات سكنية أكبر في مناطق أخرى.

من أمثلة الآراء في هذه القضية يقول رب أسرة من الشريحة الدنيا "المكان كويس جدًّا، وكل حاجة موجودة، صرف صحي، وغاز طبيعي وكهرباء، وبينظفوا كل يوم، ورصفوا الأرضية نفسي بس في مكان أوسع أروح فيه"(٧١). وتضيف ربة أسرة: "المكان نظيف، في شركة اسمها ارتقاء بينظفوا كل يوم، ومحافظين على الحارة وإحنا راضيين عن العيشة الحمد لله، بس عاوزين شقة أوسع من كده"(٧٢).

وتزيد ربة أسرة من الشريحة الوسطى:"نفسي أطلع بره الحارة علشان الوسع بس، لكن هنا كل حاجة حلوة وراضيين عنها فيه نظافة ورئاسة الحي عاملة كل حاجة، وفي اهتمام كبير، بس عاوزين ربنا يوسع علينا نروح مدينتي أو أكتوبر في ناس ربنا وسع عليهم يا رب اوعدنا"(٧٣).وتزيد ربة أسرة أخرى: "راضيين الحمد لله، وكل حاجة كويسة، والحي مهتم الأول ماكنش فيه الاهتمام ده، بس هما بيعملوا كده علشان فيه مبادرة علشان النظافة ويحافظوا على المنطقة"(٧٤).

أما الشريحة العليا فيقول رب أسرة: "أنا راضي عن المكان ومقدرش أخرج منه، في تطوير مستمر، بس الشقق ضيقة وغالية فأنا أخدت شقة تمليك ثانية في الهرم، بنروح فيها من وقت للتاني"(٧٥). ويزيد رب أسرة في حالة أخرى: ""أنا محتفظ بشقتي؛ لأني بحب المكان وهو الصراحة مكان نظيف والحي مهتم به، والدولة كلها مهتمية بالمنطقة، عيبه بس الحارة ضيقة والشقة ضيقة، بس عمري ما أسيبها، وأنا لما فكرت آخد شقة بره في أكتوبر، قلت آخذها للعيال وللزمن ونوسع على نفسنا"(٧٦).

الوظيفة التفاعلية: إن أي مكان يتشكل من خلال مجموع العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تنشأ بداخله وتساعد على تكوين روابط تتميز بالقوة تمثل أحد المؤشرات الدالة على تفرد وتميز هذا المكان وقوته، سوف تقوم الدراسة الراهنة بتقسيم التفاعلات الاجتماعية داخل الحارة؛ للكشف عن وظيفتها التفاعلية إلى ثلاثة مستويات، هي:

أ- العلاقات الاجتماعية الأسرية: إن استقرار العلاقات الاجتماعية الأسرية وتماسك أفرادها لاشك أنه ينعكس بالإيجاب على طبيعة ونمط التفاعل الاجتماعي داخل الحارة ككل بوصفها الإطار السكني الذي يجمع كل الأسر تحت سمائه، وتنقسم العلاقات الاجتماعية الأسرية إلى قسمين:

- **العلاقات الاجتماعية القرابية الممتدة:** يُعد تماسك العلاقات الاجتماعية القرابية الممتدة أحد العوامل المهمة التي أسهمت في نسج مجتمع حارة الشيخ ريحان، فقد بين العديد من الحالات أن انتماءها إلى المكان يرجع بالدرجة الأولى إلى هذه العلاقات القرابية، وقد ظهر ذلك في الشرائح الاجتماعية الثلاث، فيقول رب هذه الأسرة معبرًا عن الشريحة الدنيا وهو ينتمي لأكبر العائلات وأكثرهم شهرة في حارة الشيخ ريحان بصفة خاصة، وحي عابدين بصفة عامة: "أنا عايش هنا ومش راضي أخرج من هنا لما بقى عندي ٩٠ سنة اسألي كده عن عيلة العسر، ولا عيلة محمد بشير، ولا عيلة شميس، إحنا موجودين هنا أبًّا عن جد لو خرجنا من هنا نموت، إحنا كنا (٧) أخوات إحنا اللي لونا عربية الملك واخترعنا السمكرة والدهان، أنا موجود هنا من أيام الملك واتعلمت في مدرسة الملكة "فريال" واتجوزت هنا وعشت هنا مع

أهلي وولادي، صعب بعد كل ده والسن ده أخرج أنا مقدرش أنسى أبويا وأجدادي هما اللي جابونا هنا وعشنا معاهم"(٧٧). ويضيف رب أسرة أخرى من الشريحة الوسطى"أنا عايش هنا علشان أهلي كلهم هنا كلنا حوالين بعض ودايمًا مع بعض في كل حاجة"(٧٨).

ويؤكد على المعنى ذاته رب أسرة في الشريحة العليا: "أنا روحي هنا في المكان من أول ما وعيت على الدينا وأنا فيه، أنا وأبويا وأمي، وأخواتي، وعمامي، وولاد عمامي، وطول ما إحنا وسط بعض بحس بالأمان، وحتى لما بقى عندي بيت ثاني أكبر وأحلى أنا عايش هنا برده، جنب المعرض وجنب كل تفاصيل عشتها، وعلى فكرة هتلاقي كل الموجود في الحارة كده أو معظمهم قاعد علشان أهله، هتلاحظي كما انتشار فئة الأجداد والعواجيز، وهما اللي رابطين عيالهم بالمكان"(٧٩).

لم تؤثر قوة شبكة العلاقات القرابية على ارتباط الأسر المصرية فقط بالمكان، فمارست التأثير ذاته على الأسر من الأصول السودانية؛ فوجدت الدراسة أن توافدهم على السكنى في الحارة مرتبط بوجود عائلاتهم وتماسك علاقاتهم القرابيةن فيقول رب أسرة عن ذلك : "أنا جيت هنا وراء أهلي مش بدافع التجارة بس، كلنا بنساعد بعض وبنقوي بعض لما بنعيش في مكان واحد أو قريبين من بعض بنكون عزوة وسند وظهر لبعضنا، وأنا أعرف ناس أغنياء جدًّا من قرايبي، وقرايب صحابي ويقدروا يعيشوا في مكان أحسن من الحارة ميت مرة بس مش بيمشوا إحنا بنحب المكان كله كده على بعضه من أيام أجدادنا اللي كانوا بيشتغلوا في القصر، ودلوقتي موجودين علشان قرايبنا هنا وإما بنشتغل في التجارة أو العلاج بالأعشاب وكل ده سهل وموجود في وسط البلد"(٨٠).

- **العلاقات الاجتماعية داخل نطاق الأسرة النووية:** إن التماسك الداخلي للأسرة ينعكس بالضرورة على علاقات التفاعل الاجتماعي خارج حدودها، فكلما كانت الأسرة يسودها قدر صحي من العلاقات الاجتماعية السوية السليمة والمستقرة كلما أخرجت فاعلين قادرين على إقامة علاقات وتفاعلات اجتماعية ناجحة في محيط سكنهم، وغيره من المجالات الاجتماعية التي ينخرطون فيها، وبسؤال الحالات عن الطابع العام الذي يميز علاقاتهم الاجتماعية داخل حدود أسرتهم الصغيرة، وعن مستوى رضاهم عن طبيعة هذه العلاقات تبين التالي:

إن الطابع العام للعلاقات الاجتماعية داخل الأسر جيد، وأن العلاقات تتمتع بقدر كبير من الاستقرار، وأنهم يشعرون بمستوى عالٍ من الرضا تجاه هذه العلاقات فيما عدا البعد الخاص المتعلق بدرجة التواصل الاجتماعي المباشر داخل الأسر فقد عانت حالات الدراسة بكافة شرائحها الاجتماعية وأجيالها العمرية دون استثناء من طغيان وسائل التواصل الاجتماعي الافتراضية على عملية التفاعل الاجتماعي المباشر فيما بينهم، الأمر الذي نتج عنه عزلة اجتماعية شديدة داخل الأسر، ومن أمثلة آرائهم في ذلك: يقول رب أسرة: "الحمد لله علاقتنا كويسة، إحنا بس أكتر حاجة محزنة إننا كلنا بما فيهم أنا قاعدين على التليفون والنت طول الوقت، وساعات لما بتخنق بزعق لهم وأقول لهم كله يسيب الموبايل شوية"(٨١). وتضيف ربة أسرة: "الحمد لله بيتنا كويس وعلاقتنا كويسة راضيين الحمد لله، وبشغل القرآن على

طول، لكن الحاجة اللي الواحد مش عارف يخلص منها إزاي هي الموبايلات ساحبة كل الناس، وعلشان تقومي العيال يذاكروا ولا يعملوا حاجة بيكون كله بالخناق والعياط، ٢٤ ساعة قاعدين على الأجهزة حتى أبوهم كمان، أنا لما بازهق بامسك موبايلي أنا كمان، ده حتى على الأكل بيفتحوا التيك توك لما بيجيلي انهيار"[٨٢]. ويضيف الابن :" العلاقة بين أبويا وأمي كويسة وبيني وبين أخواتي لكن مش بنقعد مع بعض كتير، ولو قاعدين مع بعض كله باصص في تليفونه"[٨٣].ومن الشريحة الوسطى، يقول رب أسرة: "البيت علاقتنا فيه حلوة الحمد لله راضيين، وهنكون أحلى لو خففنا من التليفونات، ورجعنا ندردش مع بعض على فكرة أنا مش بحب أقعد على القهوة، بس عيبي إن طول قعدتي في البيت ماسك التليفون لما مراتي بتتخانق معايا وبتزهق هي والعيال"[٨٤]."وتضيف ربة أسرة: "إحنا في البيت كويسين، مافيش حاجة بنتخانق بسببها غير الموبايلات وبالذات في الدراسة علشان بتلهي العيال عن المذاكرة"[٨٥].وتضيف الابنة: "حياتنا حلوة بس طول ماهما سايبنا براحتنا على تليفوناتنا"[٨٦].

على المعنى ذاته يؤكد رب أسرة من الشريحة العليا: "علاقتنا الحمد لله كويسة، وأنا واعي بأن التليفونات والإنترنت ده عالم بيشد الكبار والصغار بس بالليل بقولهم سيبوا موبايلاتكم واقعدوا معايا شوية، لما بروح من الشغل، العيال بقت عصبية من الألعاب والعنف، إلا لعبة ببجي، اللي لحست مخهم مبقاش في لعب كورة ولا لعب في الحارة كلهم قاعدين بيلعبوا أونلاين، ولما الدراسة بتبدأ غصب عنهم باسحب الموبايلات"[٨٧].

وتضيف ربة أسرة: "الحمد لله علاقتنا كويسة وراضيين والحمد لله أنا وجوزي متفقين نقلل من الموبايلات ومتابعين العيال في استخدامه"[٨٨]، وتضيف الابنة: "أول ما بابا بيقولي اقفلي بأقفل الموبايل على طول علشان ما يزعلش مني وحياتنا تكون هادية"[٨٩].

ب- علاقات الجيرة: تعبر جماعة الجوار بما يميزها من علاقات اجتماعية بين أفراد يتفاعلون مع بعضهم بعضًا بشكل مكثف نسبيًّا في منطقة محددة مكانيًّا -يجعلهم يشعرون بداخله بالانتماء حيث تجمع بينهم روابط متنوعة ويتشاركون في قدر من المصالح والاهتمامات- عن شكل من أشكال المجتمع المحلي يمكن معه وصف حارة الشيخ ريحان ذات الحيز المكاني الضيق بأنها مجتمع محلي صغير قائم بحد ذاته تسعى الدراسة للكشف عن علاقات الجيرة داخله من خلال المؤشرات التالية:

- **الطابع العام لعلاقات الجيرة لدى سكان الحارة:** إن الطابع العام لوصف علاقات الجيرة داخل هذا المجتمع المحلي الصغير من وجهة نظر الحالات أنها علاقات تعاونية - تضامنية، وخاصة في وقت الأزمات بعيدة كل البعد عن نمط العلاقات الصراعية، ومن أمثلة آراء الحالات في ذلك: يقول رب أسرة: "الشخصية المصرية معدنها طيب بتبان في المواقف وخصوصًا في المرض حتى ولو كانت الشخصية مش طيبة في الأزمة معدنه بيبان"[٩٠]، وتقول ربة أسرة مؤكدة على أن التشابه في ظروف الحرمان الاجتماعي من شأنه أن يصنع نمطًا تضامنيًّا من العلاقات الاجتماعية: "الناس هنا كلها غلابة هتتصارع على إيه، كلنا بنقف مع بعض في الأزمات" [٩١].

وتضيف حالة أخرى: "متعاونين وقت الأزمات بس"[٩٢]. وتزيد ربة أسرة: "في الحزن قبل الفرح

وفي الوفاة بنقف جنب بعض"[٩٣].ويؤكد على المعنى ذاته رب هذه الأسرة، وهو سوري الجنسية: "الشعب المصري شعب طيب بطبعه، رغم إني حزين على بلدي وما فيش حاجة تعوضها بس اللي مصبرني إني عارف أعيش في مصر"[٩٤].

• **المواقف الحياتية بين المشاركة والانعزال عبر المكان:** رصدت الدراسة أهم المواقف الحياتية التضامنية المعبرة عن المشاركة بين الأسر في إطار علاقات الجيرة من خلال العناصر التالية:

• **المواقف الحياتية التضامنية وقت الأزمات:** أجمعت الحالات أن وقت الأزمة هو أكثر الأوقات أو المواقف التي تتبلور فيها العلاقات التضامنية بين جماعة الجوار، وقاموا بسرد قصصي لمجموعة مواقف في وقت الأزمات، ومنها:

يقول رب إحدى الأسر: "إحنا بنقف مع بعض في الأزمات بس، لما بيكون في خناقات بنتدخل، وكتير جاري هنا بيضرب مراته أول ما بنسمع صوت بنجري نحوش وندافع عنها، ولو مفتحش الباب بنتصل بأهلها، الجيران لبعضها، وإحنا عندنا ولايا"[٩٥]. وتحكي ربة أسرة أخرى: "إحنا بنبان في الشدة، أنا الحارة كلها وقفت معانا في موت أختي الله يرحمها، وكمان افتكر مرة وأنا صغيرة تعبت وكان أبويا مش موجود، حد من الجيران شالني وجري بيا على المستشفى، ماكنتش قادرة أتنفس، وجاري التاني فاتح محل على الناصية حط إيده في جيبه وطلع كبشة فلوس معدهاش والله ما عدهاش وراح حادفها لأمي في التاكسي وقالها خلي الفلوس دي معاك"[٩٦]. وتزيد ربة أسرة أخرى: "أنا كثير لما بكون عندي شغل وحد من العيال عيان أقول لجارتي خدي بالك منه وممكن أسيبه عندها لو سخن لحد ما أرجع"[٩٧]. وتضيف ربة أسرة أخرى: "أنا لما جاتلي جلطة الكل وقف جنبي بفلوس ولبس وأكل وكل حاجة مسلمين ومسيحيين"[٩٨]. ويسرد رب أسرة هنا موقف آخر: "أنا مرة كنت عاوز أعمل عملية والدكتور كان مستعجل أوي علشان عنيه كانت تعباني، وبعدين ماكنش معايا فلوس فمراتي كلمت جارتنا لمت لي جمعية بـ١٠٠٠٠آلاف جنيه وأخذتها الأول علشان أعمل العملية"[٩٩]. ويزيد آخر: "أنا لما بحس إن حد مش قادر يدفع الأقساط بس لما بتكون مش كتير أوي بقوله خلاص علشان ربنا يبارك في المعرض وفي العيال وفي العيشة"[١٠٠].

• **المواقف الحياتية التضامنية في المناسبات الدينية:** أكثر الأوقات والمناسبات التي تحدثت عنها حالات الدراسة من حيث القدرة على بلورة نمط من العلاقات الاجتماعية شديد التضامنية والتبادلية والتعاون والمشاركة هو: شهر رمضان الكريم لما فيه من زخم روحاني وتجمعات؛ لممارسة الشعائر والطقوس الدينية، ومن أمثلة السرد القصصي للممارسات الحياتية التضامنية داخل الحارة في أثناء شهر رمضان المعظم قديمًا وحديثًا.

"أنا عايش في الحارة هنا علشان شهر رمضان، زي ما بيقولوا رمضان في مصر حاجة ثانية، رمضان بقا في القاهرة وحواريها حاجة تانية، بنتجمع ونزين الحارة، ونتجمع في صلاة التراويح ومش بنكون عاوزين الشهر يخلص"[١٠١].

وتزيد ربة أسرة أخرى: "هو شهر كله خير بتلاقي طبق محشي طالع نازل في الشقة دي للشقة دي، والكنافة، وقمر الدين كل الحاجات الحلوة دي بنوزعها على بعض، وفي ناس ولاد حلال بيعملوا موائد رحمن، الشهر كله خير"[١٠٢]. ويزيد أحد الأبناء: "في رمضان بنتجمع نزين الحارة، ونزين البيوت وبنصلي كل الفروض في الجامع، وصحابنا المسيحيين بيفرحوا برمضان أكثر مننا وربنا"[١٠٣]. وفي أسرة أخرى يقول الأب: "الحارة من زمان من أيام الملك فاروق وهي في رمضان ليها طقوس خاصة كان الملك بيجيب قراء للقرآن الكريم من الإذاعة لمدة ٣٠ يوم ويقعدوا في ساحة القصر ويختموا المصحف كل يوم مرة، وكان بيوزع على الفقراء والأغنياء الحلويات والمهلبية، وكنا بنبقى قاعدين حوالين القصر شايفين كل ده في منتهى الحرية والأمان، ويا سلام على السحور كان الأكل محشي مكسرات الطعمية بالمكسرات كانت أيام كلها خير، وكنا نعمل من الخشب في الشارع رف ونملاه قلل علشان الناس تشرب وكنا نروح بعد الفطار ميدان عابدين نشرب قرفة وناكل لقمة القاضي، وكان الملك فاروق لما يعدي أشوفه من حارة البلاقسة"[١٠٤].

وتزيد ربة أسرة أخرى: "إحنا السودانيين بنعشق رمضان هنا في مصر، وبنتجمع بالليل بعد التراويح فوق السطوح ونسهر للفجر نتسحر ونختم القرآن، قرايبي متعودين على كده وعودونا على كده من أيام الملك لازم نختم القرآن أكثر من مرة في الشهر، وطول الشهر بيبقا احتفالات، وبنعمل شنط وبنوزعها على الغلابة كل الحاجات دي تفاصيل جميلة بنعيشها كل سنة وبنستناها"[١٠٥]. وتزيد ربة أسرة أخرى: "أنا باستنى رمضان بفارغ الصبر ده شهر الخير يا ريت لو كل السنة رمضان الناس بيكون كلها خير وبفرح جدًّا لما بقعد أجهز شنط رمضان مع جوزي وأهله"[١٠٦].

• **المواقف الحياتية الانعزالية:** طغت قيمة الخصوصية على العلاقات بين الجيران في الحارة في أوقات المناسبات السعيدة؛ حيث عبرت جميع الأسر أن هناك قدرًا من الانعزالية والخصوصية والتكتم يظهر في العلاقات بينهم عندما يتعرضون لمواقف سعيدة، أو عند الاحتفال بالميلاد أو بالزواج أو بالنجاح، أو عند التخطيط لأمور حياتية مستقبلية؛ معللين ذلك بمجموعة من الأسباب جاءت بالترتيب التالي:

١- الخوف من الحسد: احتل الخوف من الحسد الترتيب الأول كأحد أهم العوامل التي تظهر في العلاقات الاجتماعية بين الجيران وخاصة في أوقات المناسبات السعيدة.

فيقول رب إحدى الأسر: "هنا في الحارة أول ما بيكون الواحد عنده حاجة كويسة تفرح بيخبيها، علشان خايفين من الحسد، والصراحة الحسد مذكور في القرآن"[١٠٧]. وتضيف ربة الأسرة: "في الفرح منسيين وفي الهم مدعيين، بيداروا كل حاجة وبيخبوا، حتى الحمل إللي مش بيستخبى بيداروه"[١٠٨]. ويضيف رب أسرة أخرى: "كل الناس ماشية بمبدأ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان"[١٠٩]. وتزيد ربة أسرة مؤكّدة ذلك: "أنا جارتي كنت بكلمها بالليل ساعتين وصحيت الصبح لقيتها سافرت مصيف، ومخبية"[١١٠].

ويزيد رب أسرة أخرى: "العين دخلت الراجل القبر، ودخلت الجمل القدر، أنا لما بكون هاعمل حاجة

لبكرة مش بقول علشان تكمل، أنا الأول كنت بحكي عادي بس لقيت الناس بتقرأ فاتحة وتخطب وبتخبي، وبيداروا كل حاجة عننا، اتعلمت، وخصوصًا لما كذا مرة قلت على حاجات عاوز أعملها، وكانت بتبوظ من القر"[١١١]. وتضيف ربة الأسرة: "كله بيخبي على بعضه، ده حتى المذاكرة، والنجاح، والمدرسين بيجيبوهم في السر، معرفش ليه كل ده محدش هياخد نصيب حد، ومحدش بياخد رزق حد"[١١٢].

٢- ضيق مساحة الحارة، وإقامة مظاهر الاحتفال في الأماكن المخصصة لذلك:

لم تستطع الحارة بمساحتها الضيقة أن تتيح لسكانها مكانًا لإقامة الاحتفال في المناسبات المتعددة، هذا فضلًا عن انتشار الأماكن البديلة المخصصة لذلك؛ مثل: الأندية، وقاعات المناسبات المختلفة، الأمر الذي أعطى لسكان الحارة القدرة على إقامتهم احتفالاتهم خارج الحارة؛ ومن ثم القدرة على التكتم ودعوة المقربين جدًّا للحضور، وفي ذلك تقول الحالات: "بيروحوا يعملوا الفرح في النادي أو في أي قاعة، مبقاش حد بيعمل في الحارة حاجة، ده حتى لو في جهاز عروسة العربيات بتاخده من الحارة بالليل علشان ما يتحسدش"[١١٣].

"مبقاش حد يعمل حاجة في الحارة، ونتفاجئ بأن بكرة فرح فلان أو خطوبة فلان، وبيعزم واحد أو اتنين بس"[١١٤].

"القاعات دلوقتي مش مخليه حد يعمل حاجة في الشارع، كله في القاعات، ده حتى التنجيد بتاع زمان اللي كان بيهز الحارة ونشوف كل حاجة مبقاش يتعمل والعروسة بتشتري الحاجة جاهزة والمراتب الجاهزة"[١١٥].

"أنا كنت مرة ماشية في الحارة، وابن الميكانيكي كان فرحه بكرة، وخبى عليا وعزم كل الناس اللي في الورشة بس معرفش ليه أنا اتضايقت جدًّا"[١١٦].

جـ- علاقة أهالي حارة الشيخ ريحان بالمجتمع المحلي الأكبر (حي عابدين):

أجمعت الحالات أن علاقة حارة الشيخ ريحان بالمجتمع المحلي الأكبر الذي يحتضنها (حي عابدين) هي علاقة انفتاحية تبادلية المنفعة؛ فهي بكل ما تحمله من مؤشرات لقوة المكان الثقافية والاقتصادية والدينية والسياسية تمثل جزءًا أصيلًا من الحي تعود بالنفع عليه وعلى سكانه. كما يستفيد سكان الحارة من كافة المؤسسات الخدمية الموجودة في الحي المحيطة بالحارة وسكانها من كافة الاتجاهات، ومن أمثلة آراء الحالات: يقول رب إحدى الأسر: ""الحارة جزء من الحي مش مفصولة عنه، كلنا بنخرج منها في منا اللي بيروح المدرسة، أو المستشفى أو يقعد على القهوة، وكمان سكان الحي ممكن يحبوا يدخلوا عند المقام عند الشيخ ريحان لو مفتوح"[١١٧]. وتقول ربة الأسرة: "طول النهار إحنا داخلين ورايحين وجايين في الشارع الرئيسي الشيخ ريحان ونروح السوق، وبالليل نخرج نتمشى نشرب عصير، والرجالة بتروح القهوة"[١١٨]. ويزيد أحد الأبناء: "إحنا مش معزولين عن الحي، ده إحنا روحنا في حي عابدين وبنخرج وبنروح وسط البلد ولو حد تعبان بنروح المستشفى وبالليل بنخرج مع صحابنا ونروح محل بحة أو بناكل من حواوشي الرفاعي"[١١٩]. وتضيف ربة أسرة أخرى: "الحارة هي جزء من

المكان كله مش هنعرف نعيش لو قفلنا على نفسنا، لازم نخرج للسوق والمدارس والمحلات وكل حاجة ناقصة بنكملها من بره" (١٢٠).

وتزيد ربة أسرة أخرى: "إزاي الحارة نقدر نعيش فيها لوحدها لازم طبعًا نخرج لحي عابدين، والشارع الرئيسي وبنشتري كل حاجة وبنتفسح، وبنعمل كل حاجة، وكمان لما المقام كان مفتوح زمان كانوا الناس من الحي بييجوا ويدخلوا ولادهم علشان يحموهم في البير، وكانت الساحة جوه المقام كانت على طول مليانة". ويزيد أحد الأبناء: "أنا معظم صحابي من بره الحارة عندي صحاب من عابدين من بره الحارة كتير "(١٢١).

وعلى المعنى ذاته يؤكد رب أسرة أخرى: "الحارة مينفعش تتقفل على نفسها الناس لازم يروحوا الأسواق والمحلات، والمقاهي، والمدارس، ولا قدر الله حد عيان لازم يروحوا المستشفيات كل ده موجود بره الحارة"(١٢٢). وتزيد ربة الأسرة: "الحارة بسيطة وما فيهاش غير مهن وحرف بسيطة مش هينفع نعتمد عليها لوحدها علشان نعيش، محتاجين من براها حاجات كتير موجودة في حي عابدين وفي وسط البلد إحنا خطوة واحدة وتكون في وسط البلد، بالنهار نستفيد من الخدمات، وبالليل من الخروجات وخاصة الرجالة على طول قاعدين على القهوة في شارع الشيخ ريحان الرئيسي"(١٢٣).

لم تكن حارة الشيخ الريحان هي الوحيدة التي تتمتع ببعض مؤشرات قوة المكان عند "أولدن بيرج"، فقد تمتع حي عابدين بأكمله -كما ظهر- في آراء الحالات ببعض هذه المؤشرات التي جعلت منه بكافة مفردات تكوينه أهم الأماكن الثلاثة التي تستقطب اهتمام جميع حالات الدراسة من الشرائح الاجتماعية لما يقدمه لهم من خدمات متعددة اجتماعية وتعليمية وترفيهية وصحية. ومن الجدير بالذكر أن الحالات أكدت في أكثر من موضع على أن مجتمع المقاهي أنشأ بينها وبين حي عابدين علاقة نفعية تبادلية، وهذا ما يتفق مع آراء "أولدن بيرج" في دراسته حول "مجتمع المقهى" وما يتضمنه من جاذبية بوصفه مكانًا اجتماعيًّا منتظمًا، وله أدواره التاريخية التي أعيدت بصور مستحدثة من خلال ما انتشر في العديد من المجتمعات المعاصرة؛ مثل: حي عابدين من مقاهي الإنترنت والمقاهي الترفيهية كفضاء عام يتيح لرواده قدرًا من الحرية الفردية، وأداة لتمكين بعض الشرائح الاجتماعية الدنيا والمتوسطة، ويعد الهدف الأساسي من هذه الأماكن هو: الاستمتاع بالصحبة في مجتمع مليء بالضغوط، وعلى الرغم من الوجود التاريخي لمثل هذه الأماكن في حي عابدين إلا أنها اتخذت طابعًا مغايرًا مع العولمة كما جاء في العديد من الدراسات، حيث أقحم النسق العالمي الجديد نفسه على الشكل التقليدي للمقهى القاهرية التاريخية وأيًّا ما كان شكل المقاهي كمكان ثالث فقد أشارت دراسة "نيرة علوان" عن المجال العام المعاصر إلى أن الترفيه والبعد عن مسئوليات العمل والمنزل ومحاولة الخروج من دائرة الملل والروتين مازال هو الهدف الأساسي لمثل هذه الأماكن (قدري، مرجع سابق: ١٩١).

حادي عشر- الأبعاد الموضوعية والذاتية للسكنى في حارة الشيخ ريحان:

إن دراسة الأماكن لا تتم إلا من خلال التكاملية بين بعدين أساسيين للتفاعل الاجتماعي، هما: البعد الموضوعي والبعد الذاتي وفقًا لـ "زيمل"، أو بعديْ ازدواجية الأنا المعمم وفقاً لـ "هربرت ميد"، ويعبر مجتمع الحارة عن هذا التوليف بين عنصريْ الحياة الاجتماعية؛ لذلك سعت الدراسة للكشف عن الأبعاد الموضوعية، والأبعاد الذاتية عند دراسة ما يتم من تفاعل اجتماعي داخل الحارة.

١- الأبعاد الموضوعية للسكنى في الحارة: تتجلى في مؤشرات متعددة؛ مثل: الوظيفة الاقتصادية للمكان، والأصول الاقتصادية المتاحة بداخله، والجودة الوظيفية التي تسمح للسكن فيه، وكل هذه المؤشرات نوقشت باستفاضة عند الحديث عن كل من الوظيفة الاقتصادية والإيكولوجية للحارة.

٢- الأبعاد الذاتية للسكن في الحارة: إن مصطلح الذات في علم الاجتماع مستمد من فلسفات كل من: تشارلز كولي، ووليام جيمس، وهربرت ميد؛ وينظر له لأنه يشير إلى مجموعة من المعاني والمشاعر والأفكار الذاتية، ومما لاشك فيه أن هذه المعاني والأفكار تجاه شيء معين لا تتشكل من فراغ، فكما يرى "هوسرل" في فكرته عن الإحالة أن إدراك الذات والوعي بها وبغيرها هو شعور دائم بشيء ما، فيرفض أن يكون الوجود البشري في كل ذاتية مغلقة على نفسها؛ بل هو حقيقة منفتحة على الوجود العام، فالذات البشرية بكل عواطفها وميولها ومقاصدها موجهة نحو العالم الخارجي، فدائمًا وأبدًا هناك عملية جدلية في كل لحظة من حياة هذه الذات، فكما يرى "فيورباخ" الديالكتيك ليس مناجاة داخلية يمارسها فكر منعزل؛ بل هو حوار بين الأنا وما حولها (عبد الحافظ، ١٩٩٦: ١٥٤).

لذلك حاولت الدراسة كشف أهم المعاني و المشاعر والقيم والأفكار الذاتية لدى سكان الحارة التي شكلت إدراكهم للحارة وميولهم تجاهها وعوامل الاستمرار والبقاء والسكن فيها، وتتجسد الأبعاد الذاتية في المؤشرين التاليين:

أ- الإدراك الذاتي للحارة: تقصد الدراسة بالإدراك الذاتي للحارة الكيفية التي ينظر بها الأفراد تجاهها، وبسؤال الحالات عن الكيفية التي ينظرون بها إلى الحارة، وهل يشعرون بالفخر أم الدونية تجاه الإقامة في هذا المكان؟ أجابت جميع الحالات من مختلف الشرائح الاجتماعية بأنهم ينظرون إليها بوصفها مكانًا له العديد من المميزات التاريخية والدينية، وأن السكن فيه يستدعي كل الفخر ولا داعي أبدًا للشعور بالدونية تجاهه أو تجاه السكن فيه، ومن أمثلة آرائهم: يقول رب إحدى الأسر: ""أنا بحب الحارة جدًّا، وعمري ما شفت إنها قليلة. دي في قلب وسط البلد مكان متميز، ومافيش أي داعي للكسوف أو الخجل إني أقول إني ساكن في الحارة بالعكس ده اللي بيفهم يفهم إني ساكن في تاريخ وحاضر"[١٢٤]. وتزيد ربة الأسرة: "عادي جدًّا بقول إني ساكنة في الحارة، في ناس واخدة فكرة وحشة عن الحارة، يمكن في حارات ثانية وحشة وأفقر من حارتنا، بس الحارة هنا مختلفة دي في وسط البلد مكانها حلو والقصر على شمالك، وميدان التحرير على يمينك والشيخ ريحان معروف من زمان ولحد يوم الدين"[١٢٥].

ويزيد أحد الأبناء: "بحب المكان وفخور بيه، وفخور بشارع الشيخ ريحان وبأهل حتتي ومش باتكسف خالص من أي حاجة في الحارة هو مافيش حاجة تكسف". وتضيف أخرى: ""أنا بحب الحارة جدًّا وعمري ما اتكسفت من الحارة ولا إني ساكنه فيها"(١٢٦). وفي أسرة أخرى: "أنا فخور بالحارة وأهل الحارة، الحارة ناس ولاد بلد، عارفين الأصول، وعارفين بعض وبنخاف على بعض وإنك تمشي في الشارع هنا يعني شايفه تاريخ مصر كله"(١٢٧). ويؤكد على المعنى رب أسرة أخرى: "أنا فخور جدًّا بالحارة وإني منها رغم عندي شقة في حتة تانية بس مقدرش أطلع من الحارة أبدًا ده عمرنا كله في المكان وفي كل حته فيه"(١٢٨).وتزيد ربة الأسرة: "اتولدت هنا وعشت هنا وفخورة بيها وبكل تفاصيل حياتي في بيت أبويا وأمي الله يرحمهم ده غير إن الحارة مكانها متميز وبنشوف فيها عظمة بلدنا"(١٢٩). ويزيد أحد الأبناء : "عمري ما حسيت بالنقص إني ساكن في الحارة ده أنا بعزم صحابي هنا في رمضان ييجوا يستمتعوا بالأجواء"(١٣٠).

هكذا تبين أن نظر الحالات للحارة وإدراكهم الذاتي للمكان وموقعه المتميز ولأهميته التاريخية والدينية تعكس ما لحارة الشيخ ريحان من هوية مكانية ارتبطت في أذهان سكانها بكل العوامل التي تدعو إلى الفخر والثقة والارتباط بالمكان.

ب- عوامل تشكيل الإدراك الذاتي للحارة: تعددت العوامل التي تضافرت مع بعضها بعضًا، وأسهمت في تشكيل رؤية سكان الحارة لها وارتباطهم بها، وأهم هذه العوامل بالترتيب من حيث أهميتها ما يلي:

- **التعلق المكاني:** يُعد تعلق الأفراد بالمكان والخبرات الحياتية التي تربطهم به من أهم مؤشرات قوته، وتبين ميدانيًّا أن التعلق المكاني بحارة الشيخ ريحان من أهم عوامل استمرار سكان الحارة في السكن بها، ومن أمثلة آراء غالبية الحالات ما يلي:

يقول رب إحدى الأسر: "أنا عايش هناعمري ماهامشي حتى لو جالي فلوس كتيرعلشان أنا روحي متعلقة بالمكان ده، وبكل حاجة حلوة فيه، الأهل والقرايب والصحاب وسط البلد، والقصر والقهوة"(١٣١). وتضيف ربة الأسرة: "خلاص اتعلقنا بالمكان، ده لو خيروني إني أعيش في مكان تاني مش هعرف، أنا مرة كنت بازور ناس في ٦ أكتوبر والله اتخنقت، مش هقدر أمشي"(١٣٢). ويزيد أحد الأبناء: "حياتي كلها هنا، اتربيت واتعلقت بالمكان وتفاصيله"(١٣٣). وعلى المعنى ذاته تؤكد أسرة أخرى فيقول رب الأسرة: "متعلق بالحارة طبعًا فيها أهلي وصحابي ومتربي فيها، ولو ربنا يكرمني بفلوس هدور على شقة أوسع هنا برده في المنطقة"(١٣٤). وتضيف ربة الأسرة: "متعلقة بكل حاجة هنا، لو روحت حتة ثانية مش هعرف اتفاهم مع الناس" (١٣٥).

ويزيد أحد الأبناء: "لوهما قالولي نمشي من الحارة أنا مش هوافق لأن حياتي هنا واتعلقت بصحابي وكل إللي في الحارة"(١٣٦).

- **الألفة المكانية:** تبين أن إيلاف المكان والشعور بالألفة وبالاعتياد على أفراده في تفاعلاتهم

اليومية مع بعضهم بعضًا في هذا الفضاء المكاني المشترك من أهم عوامل الرغبة للاستمرار في السكنى في هذا المكان والإقامة فيه، وجاءت إجابات عدد لا يستهان به من الحالات مؤكدة على ذلك من بينها: " بحس إني في بيني وبين الحارة ألفة، وبين الناس أعرفهم ويعرفوني، علشان كده بحب المكان"[١٣٧]. وتزيد ربة الأسرة :"اتعودنا على الناس والحتة، وكلنا عارفين بعض"[١٣٨].

وتؤكد أسرة أخرى على هذه الحقيقة فيقول رب الأسرة: "بحس إني عايش وسط أهلي، بيت عيلتي، كل الناس أعرفهم واتعودت عليهم، واتعودت على العيشة هنا خلاص"[١٣٩].وتزيد ربة الأسرة: "اتعودت أصحى أروح السوق، وأروح أجيب حاجتي، وأرجع البيت، وأشوف المقام وأنا معدية، إحنا عايشين هنا ببركاته"[١٤٠]. ويزيد أحدالأبناء: "إتعودنا على الحارة، ولما أكبر وأتجوز هجيب شقة هنا"[١٤١].

• **الذكريات المكانية:** التذكر هو عملية معينة لاسترجاع أحداث تمت في الماضي في سياقات مكانية وزمنية محددة داخل الهابيتوس المعيشي لكل فرد من الأفراد، وتُعد هذه العملية مهمة عندما ترتبط بالمكان؛ لأنها تعبر عن تلك القدرة التي يمتلكها مكان معين على استحضار أحداث ومعان مشتركة حدثت بداخله، وتصبح هذه العملية إيجابية كلما كانت ذكريات الأفراد تتصف بالطابع الإيجابي؛ لارتباطها بمواقف وأحداث حياتية إيجابية وسعيدة، وظهرت الذكريات الإيجابية كواحدة من أهم عوامل ارتباط سكان حارة الشيخ ريحان بها، فقد أكدت مجموعة من الأسر على هذا العامل، ومن أمثلة آرائهم: يقول رب إحدى الأسر: "أنا مرتبط بالحارة بسبب حياتي فيها من وأنا صغير وذكرياتي، وإزاي من وأنا صغير كنت بحس بالدفء والتماسك وأحس بالجدعنة، مش قادر أنسى لما كنا بنلعب مع بعض ونتفسح ونخرج وأروح الدرس ونقعد عند المقام"[١٤٢]. وتزيد ربة الأسرة: "حياتي كلها هنا وذكرياتنا، وتفاصيل يومنا وكنا بنلعب ونقعد مع الجيران ونقعد في ساحة المقام ياه الله يرحم اللي ماتوا بقى"[١٤٣]. ويزيد رب الأسرة في حالة أخرى: "الذكريات والناس؛ أنا كان عندي ورشة كبيرة بتاعت أبويا الله يرحمه وكان هنا في قهوة، وكانت المنطقة كلها باشاوات وكانت الناس طيبة وكلها خير، وفاكر كمان مدرسة الملكة فريال، كانت عيشة جميلة وأيام كلها خير. المنطقة كلها بحبها من الطراز القديم، البيوت القديمة بتاعت الباشوات مخلية المنطقة حلوة، والحاجة كانت رخيصة كنت أشتري جبنة رومي وشاي بتعريفة، أمي لما كانت بتعجن العيش كانت بتقولي هات رطل دقيق بـ١٣قرش، وكانت الست اللي بتعمل أكل بتبعت لجارتها والعلاقات كانت قوية أبويا لما كان بيعيا كانوا في الحارة بيصرفوا عليه لحد ما يخف، وكله كوم ولما كنا بنروح عند المقام ونستحمى بمية البير علشان نخف، وكان لازم الستات تعجن العيش كان عيب نشتري عيش، وكانوا يسيحوا الزبدة ونرمي فيها العيش وناكل، وكانوا بيجيبوا الزبدة دي من القناطر، وكان السطوح ده مليان فراخ ومليان بيض، وكان على طول عندنا بلح وبنعمل منه المربى، وكانت البيوت سقفها عالي علشان التهوية مافيش مراوح ولا تكييفات، وكان خلو البيت أقصى حاجة ٦٠٠جنيه، ولا ذكريات رمضان لما كنا بنتلم عند القصر نشرب القرفة وناكل لقمة القاضي ونتفرج على الملك ونسمع قراءة القرآن"[١٤٤].

• **الانتماء المكاني:** الانتماء هو مجموعة مشاعر داخلية تحرك في الذات الفاعلة الرغبة في الالتزام تجاه ذات أخرى أو فكرة أو مكان ما، فهو مفهوم يعبر بصورة عامة عن إخلاص الفرد ومدى تمسكه وارتباطه بالفكرة التي يدين لها بالولاء، ويرجع بعض حالات الدراسة أسباب تمسكها بالحارة إلى شعورهم بالانتماء إليها، فهي لا تمثل بالنسبة لهم مكانًا للسكن فحسب، فهي أيضًا رمز للتاريخ وللهوية الثقافية؛ فقد وصفها بعض الحالات بأنها التاريخ الذي يستمد منه كل ملامح وقسمات الشخصية المصرية؛ مفسرين بذلك أسباب رغبتهم في الاستمرار في السكن بداخلها، ومن أبرز آراء الحالات في ذلك: "أنا بحب الحارة وبحب أعيش فيها، الحارة بالنسبة لي هي تاريخ هي ملامح الشخصية المصرية الطيبة الجدعة، هي تراث بلدي، حبي في الحارة خلاني أحب بلدي أكثر وأحس بالانتماء وأقرأ في التاريخ أكثر علشان أعرف مين الشيخ الريحان اللي في المقام وسموا الحارة على اسمه، وكمان بروح للحاج صالح علشان يحكي لي أكثر وأكثر عن التاريخ، وتفاصيل الحارة، أنا عمري ما أمشي من هنا أنا بحب وسط البلد والقاهرة القديمة وعابدين والجمالية طول ما إحنا ماشيين ماشيين وسط التاريخ والجوامع والمساجد أنا بحب الحياة دي ثقافتي وثقافة بلدي كلها هنا في وسط البلد، تاريخ الثورات والثورات الجديدة هنا في وسط البلد، الحارة بالنسبة لي مش مكان سكن، الحارة تاريخ وانتماء وثقافة، وأنا بناشد المسئولين يعملوا دورات توعية للشباب يعرفوهم على التاريخ وتاريخ حواريهم وثقافة بلادهم وده هيخلي عندهم انتماء أكثر"[١٤٥]. ويضيف آخر: "الحارة يعني التاريخ، وإزاي أحب بلدي وإزاي أكون جدع، المكان كله بالنسبة لي حياة مافيهاش عزلة حياة بتجمع بين اللي فات واللي جاي بين عيشة الملوك وعيشة الناس الغلابة العمارات القديمة، وشكل القصر، مكان عندي كله ذكريات في علاقاتي مع اللي حواليا، مش بس لينا كمصريين، ده حتى السودانيين مش بيمشوا من هنا ولو كانوا أغنياء علشان متصلين بأجدادهم ومرتبطين بالمكان، وأنا كمان مرتبط بالمكان وبأجدادي وبكل الحاجات التاريخية الجميلة دي، وكمان لما كنا في الثورة من حبنا لمصر وللمكان دافعنا عنه وعملنا لجان شعبية علشان إحنا طول عمرنا جدعان المصريين معروفين بالجدعنة"[١٤٦].

تبين من العوامل السابقة الفاعلة في تشكيل الإدراك الذاتي للحارة عند سكانها المتمثلة في التعلق المكاني، والألفة المكانية والذكريات المكانية والانتماء المكاني على عكس ما هو مفترض وما هو شائع في الأدبيات أن الأفراد هم من يمارسون سلطة على المكان؛ فإنه من الممكن أن يمارس المكان ذاته سلطة على الأفراد فيجعلهم يتعلقون به ويألفونه وينتمون إليه ويندمج في ذاكرتهم. وعلى أية حال؛ فإن ذلك يدل على أنه لا يمكن دراسة الأفراد وتفاعلاتهم الاجتماعية بمعزل عن السياقات المكانية التي تتم فيها.

ثاني عشر- أهم نتائج الدراسة:

١- بالرغم من تباين الشرائح والفئات الاجتماعية داخل حارة الشيخ ريحان؛ فإنهم يشعرون بالألفة المكانية والارتباط الوجداني بأروقته.

٢- تواضع الخصائص الديموجرافية للعدد الأكبر من حالات الدراسة.

٣- ارتفاع معدل عملية الحراك الاجتماعي والمكاني لكثير من الأفراد متمكنين بذلك من ترك السكن في الحارة.

٤- رغم قلة عدد الأسر المنتمية إلى الشريحة الوسطى والشريحة العليا داخل الحارة، وضيق فرص العمل التي تتناسب مع خصائصهم التعليمية والمادية فقد تمكنت الحارة من توفير بعض فرص العمل لهم؛ مثل: الأعمال المدرسية، والأعمال التجارية، والأعمال الخدمية سواء كانوا من سكانها الأصليين أو من جنسيات أخرى، الأمر الذي يدل على قدرة الحارة على تحقيق العدالة المكانية، أي: توزيع كافة مواردها المتاحة لكافة سكانها بما يشبع احتياجاتهم ويلبي رغباتهم.

٥- كشفت الدراسة عن مجموعة من الوظائف الاجتماعية المعاصرة التي تقدمها الحارة لسكانها، وتمثلت هذه الوظائف فيما يلي:

الوظيفة الاقتصادية: تبين أن حارة الشيخ ريحان كنموذج للحارة المصرية تمكنت من التمسك ببعض المؤشرات الاقتصادية التي تدل على توفير بعض الخدمات الاقتصادية التي يحتاجها السكان في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المنتشرة بين سكانها، الأمر الذي يعد من مؤشرات القوة المكانية الذاتية والقدرة على الاستدامة والاستمرار.

الوظيفة الثقافية: لم تختلف هذه الوظيفة الخاصة بالحارة عن سابقتها، فقد تمكنت الحارة من القيام ببعض المهام الثقافية تجاه سكانها، وأفقدتها التحولات المجتمعية المعاصرة القدرة على القيام ببعض آخر، فالأشكال الثقافية تدخل دائمًا وأبدًا في صراع مع العمليات المجتمعية الجارية المعاصرة منها المستحدثة كما أكد "زيمل". ومن أهم المهام الثقافية التي تمسكت بها الحارة في ظل تواتر عمليات التغير الاجتماعي والثقافي المحلي العالمي كنوع من محاولات تحقيق الاستدامة الذاتية وتأكيد الهوية المكانية مهمة التبادل الثقافي التي تمكنت من تحقيقها بفضل الارتباط بعنصر المكان التاريخي المشترك بين أجيال مختلفة، وهو العنصر القادر على احتواء اختلاف السكان وتباين مصالحهم المتعارضة وجنسياتهم المتعددة والمتنوعة وتحويلها إلى وحدة متجانسة مترابطة، فالوعي بتلك الاستدامة والاستمرارية الزمنية والمكانية الذي يوجد لدى سكان الأحياء الشعبية القديمة كما جاء في دراسة "مي التلمساني" عن الحارة في السينما المصرية ١٩٣٩- ٢٠٠١، وكما يفسره علماء الاجتماع الحضري والعمراني يرجع إلى وجود آثار تاريخية قديمة تشهد على قدم المكان واستمرارية شخصيته وهويته العمرانية التي تستقطب إليه طوال الوقت جموع الوافدين الباحثين عن الامتداد العائلي والقرابي، وعن التاريخ والهوية، وعن المنفعة التجارية والاقتصادية. وهو ما يفسر توافد العديد من الأسر ذات الأصول السودانية والسورية إلى حارة الشيخ ريحان؛ وقدرتها على استيعاب هذا التنوع الثقافي ببراعة.

الوظيفة الدينية: إن الوظيفة الدينية لحارة الشيخ ريحان كانت من أهم الوظائف التي أكدت أن الحارة يصدق عليها بعض مؤشرات المكان الثالث الذي يسمح لأفراده بانسيابية في التعامل وممارسة الشعائر والطقوس الدينية بأريحية، ويرجع ذلك إلى وجود مقام الشيخ ريحان داخل الحارة ذلك

المقام الذي اكتسبت منه الحارة صيتها وذاعت شهرتها لأنها حملت اسمه؛ ولنجاح هذا المقام في صياغة مجموعة من الأشكال التفاعلية التوافقية والأشكال التفاعلية المتصفة بالديمومة والاستمرارية القائمة على تبني قيم دينية مرتبطة بصورة قوية بالأماكن والرموز والآثار الدينية.

الوظيفة الأمنية: كشفت الدراسة عن تحقق الأمن داخل الحارة بصورتيه الرسمية وغير الرسمية.

الوظيفة السياسية: برزت الممارسات السياسية للأسر في حارة الشيخ ريحان كأحد أشكال التفاعل الاجتماعي الأكثر تكرارًا والأكثر ارتباطًا بها بصورة عكست تفرد هذا المكان الذي يقع بالقرب من القصر الملكي وقصر عابدين، وبالقرب من أشهر ميادين القاهرة انخراطًا في الأحداث السياسية التاريخية والمعاصرة، وهما: ميدان التحرير، وميدان عابدين. وتوصلت الدراسة إلى: ارتفاع معدلات المشاركة السياسية للأسر داخل الحارة على اختلاف انتمائها الطبقي في أحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وفي المشاركات الانتخابية وخاصة انتخابات مجلس الشعب وكانت مشاركة الذكور في هذه الانتخابات أعلى من مشاركة الإناث، وتدل هذه الممارسات السياسية على وعي سكان الحارة بالقضايا السياسية والمجتمعية وأنه لا توجد أية عزلة مكانية للحارة عن مجريات الأحداث السياسية المحلية والعالمية.

الوظيفة الإيكولوجية: تتمتع الحارة بمستوى إيكولوجي لائق عبر عن الجودة الوظيفية لبيئة المكان

الوظيفة التفاعلية: انقسمت إلى ثلاثة مستويات، هي:

أ- العلاقات الاجتماعية الأسرية.

ب- علاقات الجيرة.

ساد في الأدبيات أن المكان العام للحارة يعدُّ ملكًا عائليًّا، أي ملكية جماعية خاصة تكتسب فيه الممارسات الشخصية للحياة اليومية بعدًا طقسيًّا. وفي ضوء ذلك سعت الدراسة للكشف عن طبيعة علاقات الجيرة بين سكان الحارة، فكان الطابع العام لوصف هذه العلاقات من وجهة نظر الحالات أنها علاقات تعاونية تضامنية تختلط فيها الممارسات الخاصة مع العامة، وخاصة في وقت الأزمات ووقت الاحتفال بالمناسبات الدينية فقط. أما في أوقات المناسبات السعيدة فطغت قيمة الخصوصية على نمط التفاعل الاجتماعي بين الأسر ليعكس حالة من الانعزالية السائدة بين سكان الحارة.

ج- علاقة الحارة بالمجتمع المحلي الأكبر (حي عابدين).

أكدت جميع حالات الدراسة أن علاقة حارة الشيخ ريحان بالمجتمع الأكبر الذي يحتضنها (حي عابدين) هي علاقة انفتاحية تبادلية المنفعة فهي بكل ما تحمله من مؤشرات لقوة المكان الثقافية والاقتصادية والدينية والسياسية تمثل جزءًا أصيلًا من الحي يعود بالنفع عليه وعلى سكانه كما يستفيد سكان الحارة من كافة الخدمات التي يقدمها إليهم حي عابدين، فقد تمتع هذا الحي بالعديد من مؤشرات قوة المكان التي استقطبت اهتمام جميع حالات الدارسة من الشرائح الاجتماعية؛ حيث وجود العديد من المؤسسات الخدمية والتعليمية والخدمات التجارية والترفيهية ووجود العديد من المساجد ودور العبادة، ووجود العديد من الأبنية التاريخية والأثرية، وارتفاع درجة الانسيابية في التجمع داخله في أي وقت

وبسهولة، وحصل "مجتمع القهوة" داخل حي عابدين على اختيار غالبية حالات الدراسة من الذكور كواحد من أهم حلقات التواصل بين الحارة والحي، حتى وإن ظهر هذا المجتمع بصورة مغايرة عن الصورة التقليدية، تتماشى مع طبيعة التحولات التي طرأت نتيجة العولمة على الشكل التقليدي للقهوة القاهرية التاريخية، فمازالت مثل هذه المجتمعات بؤرة تجمع عالية التركيز لمختلف الفئات والشرائح الاجتماعية.

٦- كشفت الدراسة عن أهم الأبعاد الموضوعية والأبعاد الذاتية للسكني في الحارة.

ثالث عشر- توصيات الدراسة:

تتقدم الدراسة إلى كل من وزارة الثقافة ووزارة الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية، ووزارة التنمية المحلية، ووزارة التضامن الاجتماعي بهذه التوصيات:

وضع استراتيجية متكاملة في ضوء أهداف التنمية الحضرية المستدامة الخاصة بمصر ٢٠٣٠ تدعو إلى الحفاظ على الحارات المصرية القديمة بتاريخها الحضاري ونسيجها العمراني وتركيبها الاجتماعي من خلال تعزيز ديناميات استدامتها وهويتها في ظل التغيرات المحلية والعالمية المعاصرة، وذلك من خلال:

١- الاهتمام بالأحياء والشوارع والحارات القديمة ليس فقط لتوفير الحركة السلسة وإنما من أجل الحفاظ على شكل المناطق وهيكلها وأركيولوجيتها الاجتماعية والثقافية.

٢- الاهتمام بالآثار التاريخية والمناطق الأثرية القائمة وسط الأحياء القديمة وعدّها موارد وأصول ثقافية وبيئية موروثة لابد من الحفاظ عليها وعلى حق الأجيال القادمة في هذا الإرث والهوية التاريخية.

٣- تكثيف حملات تعريفية للأفراد وخاصة الشباب عن تواريخ الحارات والأحياء القديمة والآثار الموجودة فيها من أجل تأكيد الهوية وتعزيزها.

٤- تكثيف الحملات الأمنية وخاصة الليلية.

٥- صنع بيئة حضرية مستحدثة تجمع بين أصالة الماضي والتغيرات المعاصرة ليمارس الأفراد فيها نشاطاتهم المختلفة.

٦- دعم الأصول الاقتصادية الموجودة بالحارات من خلال توفير قروض المشروعات الصغيرة، وتسهيل إجراءات الحصول عليها، والإعلان عنها بكثافة لتشجيع الأسر للإقبال عليها، والاهتمام بالحرف والمهن البسيطة التي اندثرت أو في طريقها إلى الاندثار الأمر الذي يسهم بطريقة مباشرة في رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسر عن طريق التشاركية بين أجهزة الدولة المسئولة والأفراد.

المراجع

اولًا: المراجع العربية

١- أحمد، فاتن، (٢٠٠٤)، الأسواق التقليدية بمدينة الإسكندرية: دراسة في الأنثربولوجيا الاقتصادية، في الأنثروبولوجيا الاجتماعية: قضايا الموضوع والمنهج، محمد الجوهري ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٢- أسعد، ولاء، (٢٠٢١)، المكان المغاير في روايات نجيب محفوظ: دراسة في علم اجتماع الأدب، رسالة دكتوراه في الآداب – قسم علم الاجتماع، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس.

٣- أسمن، يان، (٢٠٠٣)، الذاكرة الحضارية: الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى، ترجمة: عبد الحليم عبد الغني، المركز القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

٤- التلمساني، مي، (٢٠١٤)، الحارة في السينما المصرية (١٩٣٩-٢٠٠١)، ترجمة: رانيا فتحي، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

٥- جواد، إبراهيم، (٢٠٢٢)، آفاق في صناعة المكان، قسم هندسة العمارة، الجامعة التكنولوجية – العراق.

٦- الجوهري، محمد، (١٩٩١)، الدراسة الأنثروبولوجية للمجتمع المحلي ، دراسات في الأنثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ص ص ٧٥- ٨٨ .

٧- حسنين، مها (٢٠٢١)، التحليل المكاني للمباني التراثية في مدينتي الهفوف والمبرز: بمحافظة الإحساء – دراسة جغرافية، مجلة كلية الآداب، الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ، مجلد (١٣)، ع(٢)، يوليو، جامعة الفيوم، ص ص ١٣٧٥: ١٤٢١.

٨- الخطابي، أحمد،(٢٠٢١)، نظرية المجال عند جورج زيمل: المجال بوصفه شرطاً قبلياً للبناء وإعادة البناء الاجتماعي، عمران ، ع٩/ ٣٥، ،ص ص ١٦٥: ١٨٨.

٩- رحمون، محمد، (٢٠٢٢)، الحوسبة الاجتماعية وأثرها في التحولات الاجتماعية: دراسة تحليلية، www.researchgate، ١:١٠.

١٠- سيمور، شارلوت، (٢٠٠٩)، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية،ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

١١- عبد الحافظ، مجدي، (١٩٩٦)، جدلية تخارج الذات، في: أعمال الندوية السنوية الثالثة لقسم علم الاجتماع – كلية الآداب جامعة القاهرة، الذات والمجتمع في مصر، القاهرة ص ص: ١٥٤-١٧٠.

١٢- غدنز، أنتوني، (٢٠٠٥)، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ترجمة: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية.

١٣- قدري، سامية، (٢٠٢٠) ، سوسيولوجيا المكان: من زيمل إلى ما بعد فوكو، سما للنشر والتوزيع، القاهرة.

١٤- قطب، سمية، (٢٠٢١) ، الحياة الاجتماعية واكتساب القوة: القاهرة نموذجاً، المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية، تواصل للدراسات والتوعية الثقافية.
١٥- محمد، عنان، (٢٠١١)، ملامح تغير علاقات الحياة اليومية: دراسة ميدانية ببعض أحياء القاهرة التاريخية، ، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس، مجلد ٣٩، أكتوبر – ديسمبر القاهرة، ص٢٧١: ص ٣٠٧.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1- Borden, Lain, (1997), Space beyond: Spatiality and The City in The Writings of Georg Simmel, 2(4), January, The Journal of Architecture, pp.313: 335.
2- Fuller, Martin, (2017), Introduction: An Invitation to Spatial Sociology (With Martina Low), SAGE Journals.sagepub.Com,pp. 469: 485.
3- Lenchner, Frank, (1991), Simmelon Social Space, Culture Society Journal sagepub.com.
4- Liu, Sida, (2020), Between Social Spaces, European Journal of Social Theory, SAGE, pp. 123:139.
5- Mostafa, Yosra, 2021, Identity and Its Effect on Positive Design for Interior Space, WWW.Reseachegeete, PP. (548:564).
6- Pecher kinalrina, Kosh Kina, (2021), Territorial Identity in Social Space, January, www.Researchgate.com.
7- Ujang Norsidah, Zakariya khalilah, (2014), The Notion of place, place Meaning and Identity in Urban. Regeneration, Procedia Social and Behavioral Sciences, WWW. ScienceDirct.com, pp.709: 717.

ثالثًا: الهوامش

١- حـالـة رقـم (١٤).
٢- حـالـة رقـم (١٦).
٣- حـالـة رقـم (١٣).
٤- حـالـة رقـم (٧).
٥- حـالـة رقـم (١٤).
٦- حـالـة رقـم (١٣).
٧- حـالـة رقـم (١٠).
٨- حـالـة رقـم (٥).
٩- حـالـة رقـم (٢).
١٠- حالة رقـم (١٦).
١١- حالة رقـم (١٣).
١٢- حـالـة رقـم (٤).
١٣- حالة رقـم (١٤).
١٤- حـالـة رقـم (٥).
١٥- حـالـة رقـم (٩).
١٦- حـالـة رقـم (٢).
١٧- حالة رقـم (١٢).
١٨- حـالـة رقـم (٩).
١٩- حـالـة رقـم (٥).
٢٠- حـالـة رقـم (١).
٢١- حـالـة رقـم (٤).
٢٢- حـالـة رقـم (٤).
٢٣- حـالـة رقـم (٤).
٢٤- حـالـة رقـم (١).
٢٥- حـالـة رقـم (١).
٢٦- حـالـة رقـم (١٢)
٢٧- حالة رقـم (١٢).
٢٨- حالة رقـم (١٢).
٢٩- حالة رقـم (١٢).
٣٠- حالة رقـم (١٥).
٣١- حالة رقـم (١٥).
٣٢- حالة رقـم (١٥).
٣٣- حالة رقـم (١٥).
٣٤- حـالـة رقـم (٨).
٣٥- حـالـة رقـم (٢)
٣٦- حـالـة رقـم (٢).
٣٧- حالة رقـم (١٤).
٣٨- حـالـة رقـم (٢).
٣٩- حـالـة رقـم (٨).
٤٠- حـالـة رقـم (٢).
٤١- حـالـة رقـم (٢).
٤٢- حـالـة رقـم (٢).
٤٣- حالة رقـم (١١).
٤٤- حالة رقـم (١١).
٤٥- حالة رقـم (١١).
٤٦- حالة رقـم (١٥).
٤٧- حالة رقـم (١٥).
٤٨- حالة رقـم (١٥).
٤٩- حـالـة رقـم (١).
٥٠- حـالـة رقـم (١).
٥١- حالة رقـم (١٥).
٥٢- حالة رقـم (١٥).
٥٣- حالة رقـم (١٥).
٥٤- حالة رقـم (١٦).
٥٥- حالة رقـم (١٦).
٥٦- حالة رقـم (١٠).
٥٧- حالة رقـم (١٠).
٥٨- حالة رقـم (١٠).
٥٩- حـالـة رقـم (١).
٦٠- حـالـة رقـم (١).
٦١- حالة رقـم (١١).
٦٢- حالة رقـم (١١).
٦٣- حالة رقـم (١١).
٦٤- حالرة رقـم (١٤).
٦٥- حالة رقـم (١٤).
٦٦- حالة رقـم (١٤).
٦٧- حـالـة رقـم (٧).
٦٨- حـالـة رقـم (٩).
٦٩- حـالـة رقـم (٧).
٧٠- حـالـة رقـم (٦).
٧١- حـالـرة رقـم (٦).
٧٢- حـالـة رقـم (٦).
٧٣- حالة رقـم (١٠).
٧٤- حالة رقـم (١٠).
٧٥- حالة رقـم (١٤).
٧٦- حالة رقـم (١٥).
٧٧- حـالـة رقـم (٨).
٧٨- حالة رقـم (١٠).
٧٩- حالة رقـم (١٥).
٨٠- حالة رقـم (١٦).
٨١- حـالـة رقـم (٤).
٨٢- حـالـة رقـم (٤).
٨٣- حـالـة رقـم (٤).
٨٤- حالة رقـم (١٢).

٨٥- حالة رقم (١٢).
٨٦- حالة رقم (١٢).
٨٧- حالة رقم (١٥).
٨٨- حالة رقم (١٥).
٨٩- حالة رقم (١٥).
٩٠- حالة رقم (٧).
٩١- حالة رقم (٧).
٩٢- حالة رقم (٧).
٩٣- حالة رقم (٩).
٩٤- حالة رقم (١٣).
٩٥- حالة رقم (٢).
٩٦- حالة رقم (١٢).
٩٧- حالة رقم (٥).
٩٨- حالة رقم (١١).
٩٩- حالة رقم (١٠).
١٠٠- حالة رقم (١٤).
١٠١- حالة رقم (٢).
١٠٢- حالة رقم (٢).
١٠٣- حالة رقم (٢).
١٠٤- حالة رقم (٨).
١٠٥- حالة رقم (١٣).
١٠٦- حالة رقم (١٣).
١٠٧- حالة رقم (١).
١٠٨- حالة رقم (٢).
١٠٩- حالة رقم (٤).
١١٠- حالة رقم(٤).
١١١- حالة رقم (١٥).
١١٢- حالة رقم (١٥).
١١٣- حالة رقم (١).
١١٤- حالة رقم (١).
١١٥- حالة رقم (١١).
١١٦- حالة رقم (١١).
١١٧- حالة رقم (٤).
١١٨- حالة رقم (٤).
١١٩- حالة رقم (٤).
١٢٠- حالة رقم (١٢).
١٢١- حالة رقم (١١).
١٢٢- حالة رقم (١٥).
١٢٣- حالة رقم (١٥).
١٢٤- حالة رقم (٤).
١٢٥- حالة رقم (٤).
١٢٦- حالة رقم (٤).
١٢٧- حالة رقم (٦).
١٢٨- حالة رقم (١٤).
١٢٩- حالة رقم (١٤).
١٣٠- حالة رقم (١٤).
١٣١- حالة رقم (٢).
١٣٢- حالة رقم (٢).
١٣٣- حالة رقم (٢).
١٣٤- حالة رقم (٩).
١٣٥- حالة رقم (٩).
١٣٦- حالة رقم (٩).
١٣٧- حالة رقم (١).
١٣٨- حالة رقم (١).
١٣٩- حالة رقم (٤).
١٤٠- حالة رقم (٤).
١٤١- حالة رقم (٤).
١٤٢- حالة رقم (١).
١٤٣- حالة رقم (١).
١٤٤- حالة رقم (٨).
١٤٥- حالة رقم (٢).
١٤٦- حالة رقم (١٥).

TAWASOL
For Studies & Cultural Awareness Foundation

ERTC
The Egyptian Research and Training Center

The Egyptian Journal of Social and Behavioral Sciences

The Egyptian Journal of Social and Behavioral Sciences (EJSBS)

An International Peer-reviewed Scholarly Journal

Published Twice Per Year

ISSN: 2682 - 2725

Issue No. 7

April 2023

Chief Editor
Dr. Abdel-Hamid Abdel-Latif

Editor
Dr.Mohammed Aboelenein